



﴿ الجزء الثالث من ﴾

تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل

(تأليف)

الامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد
ابن محمود النسفى عليه سحائب الرحمة والرضوان

﴿ قال فى كشف الظنون فى حرف الميم ﴾

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنفرد بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقرآآت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل اه (قلت) الذى وقع بأيدينا من نسخ المدارك المنزه بدل قوله المنفرد فلعل ذلك من اختلاف النسخ اه

﴿ طبع على نفقة الراجى عفو ربه الكريم ﴾



صاحب المكتبة الأزهرية
(وسيد موسى شريف وشركه)

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٦ هـ)

﴿ سورة يس مكيه ﴾

(وهي ثلاث وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبدالله وقيل يا سيد يس بالامالة علي وحمزة وخلف وحماد ويحيي (والقرآن) قسم (الحكيم) ذي الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي الذين أرسلوا على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على اقرأ تنزيل أو على أنه مصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين أي أرسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أي لتنذر قوما انذار آبائهم أي مثل انذار آبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم

غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أوفهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعني قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لاسبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم فى أن لاتأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار روى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشى

الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهي العفو عن ذنوبه
(وأجر كريم) أي الجنة (انا نحن نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من
الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها
(وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس
حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك
كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر
قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شيء
أحصيناه) عددناه وبيناه (في إمام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه أصل الكتب
ومقتداها (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا
الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد
والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي انطاكية أي اذكر لهم قصة عجيبة
قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بأنه بدل من أصحاب
القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق
وكانوا عبدة أوثان (اذ) بدل من اذ الأولى (أرسلنا اليهم) أي أرسل عيسى بأمرنا
(اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب
النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى
عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما
خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك
فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى
الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال
لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ورزق كل حي
وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال وما آيتكما

قالا مايفنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت
لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك
سر ان إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر إلهكما على إحياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية
من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب
السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون
وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم
ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية
الرسولين (فعززنا) فقوينا هما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا
وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به
وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام
منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوض
(فقالوا انا اليكم مرسلون) أى قال الثلاثة لاهل القرية (قالوا) أى أصحاب القرية
(ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ما هذا بشرا لانتقاض النفى بالا
فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) أى وحيا (ان
أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثانى
باللام دون الأول لان الأول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى
زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله
(وما علينا الا البلاغ المبين) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته
(قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة
الجهال أى يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه
وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم
المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم
أو لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب

(قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على تبليغ الرسالة «وهم مهتدون» أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال «ومالى لا أعبد الذى فطرنى» خلقنى «واليه ترجعون» واليه مرجعكم ومالى حمزة «أأتخذ» بهمزتين كوفى «من دونه آلهة» يعنى الأصنام «ان يردن الرحمن بضر» شرط جوابه «لا تغن عنى شفاعتهم» شيأ (ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى اذا اتخذت (لفى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى

أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون و يتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب بأهلكنا (ويروا معلق) عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لامحالة والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى أن المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة بالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه

يأ كلون) قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش و يقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط و وقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به (ليأ كلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أي ليأ كلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلى (وما عملته أيديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز ان يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أنها في حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كان ذلك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (فلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الأرض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شيء من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجي أسود لان أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (والشمس تجري) وآية لهم الشمس تجري (لمستقر لها) لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من

فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لحدها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرنا) و بالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزيد و ينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج و وزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لا الشمس ينبغى لها) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (فى فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدنى وشامى (فى الفلك المشحون) أى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات فى بر أو بحر أو الآباء لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى

سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلاصريخ لهم) فلامغيث أو فلا اغاثة (ولاهم ينقذون) لاينجون (الارحمة مناومتاعا الى حين) أى ولا ينقذون الارحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الأجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم) أى ماتقدم من ذنوبكم وماتأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركى مكة (انفقوا مما رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (ماينظرون) ينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يختصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها و بسكون الخاء مدنى و بكسر الياء والخاء يحيي فأتبع الياء الخاء فى الكسر و بفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم و بعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فلايستطيعون توصية) فلايستطيعون أن يوصوا فى شئ من أمورهم توصية (ولاالى أهلهم يرجعون) ولايقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (ياويلنا من

بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى و بضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أوضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة و برام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (متكئون) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون (سلام) بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون و يسار بهم الى

الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامة ولا صراط أقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار وايصال الفعل والأصل فاستبقوا الى الصراط (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة أوخنازير أو حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمره ننكسه) عاصم

وحمزة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون ننكسه (في الخلق) أي
نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا و بدل الشباب
هرما وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى
أن يبلغ أشده و يستكمل قوته و يعقل و يعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه
في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده
وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل
ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) أن من قدر
على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى
الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم و يمسخهم على مكانتهم و يبعثهم
بعد الموت و بالتاء مدني و يعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء
أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام
موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه و بين الشعر
اذا حققته (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه
بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدي الى الخط
لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

فما هو الا من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا
تكلف الا أنه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق
في خطب الناس و رسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لأن
صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء
في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال
(ان هو) أي المعلم (الا ذكر وقرآن مبين) أي ما هو الا ذكر من الله يوعظ به

الانس والجن وماهو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لايتأملون وهم فى حكم الأموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) اى خلقناها لأجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والأوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الأنعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) اى لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) اى آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم وهم له اى الكفار للأصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم أن من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل ﴿فان قلت﴾ ان كان المفتوح بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر ﴿قلت﴾ هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسران وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ماعظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما في قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده و يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك و يدخلك جهنم (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه و ينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفته العظم (ونسي خلقه) من المني فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أي خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهي رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة في العظام و يقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول مرة) أي ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في

البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى به الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين ان من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدا وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذي بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شيء (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شيء قلبا

وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه الصلاة والسلام من قرأ يس أمام حاجته قضيت له وقال عليه الصلاة والسلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان فى السجن أخرجه الله وان كان أسيرا أخلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم

﴿ سورة والصافات مكية ﴾

﴿ وهى مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زاجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان إلهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الالهة إلها واحدا

(رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس وهى ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (إنا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الأدنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعنى أو على اعمال المصدر منونا فى المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبى بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال سمع فسمع أو فلم يسمع وينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت ان وأهدر عملها كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد

الاصغاء مع الادراك (الى الملأ الاعلى) أى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والانس والجنّ هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (الا من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) اى سلب السلبة يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضيء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وجيء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قراء أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك (ويسخرون) هم منك ومن تعجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلى اى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشيء فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون)

يستدعي بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية (وقالوا ان هذا) ماهذا (الاسحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدني وشامي اى أيبعث واحد منا على المبالغة في الانكار (الاولون) الأقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هي) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فاهي الا (زجرة واحدة) وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون مايحل بهم (وقالوا ياويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أي اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون ياويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) اى وأشباههم وقرناؤهم من الشياطين أو نساؤهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي الأصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الأصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع

منتصر وهو فى موضع النصب على الحال اى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة و بها يقع البطش أى انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله

* فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا « يومئذ » يوم القيامة « فى العذاب مشتركون » كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى وكوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يدى (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بالا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن

حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فاياً كلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم و رائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (فى جنات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا وعن الاخفش كل كاس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء و بها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

ومابقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا أنه جىء به ماضيا على ما عرف فى أخباره (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك) بهمزتين شامى وكوفى (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون)

لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار أو قال الله تعالى لأهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) الفاء العطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لايذوقوا الا الموتة الأولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أى الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقال للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر

لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون منها البطون) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) لخلطا ومزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الأولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أى الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر ارسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس

كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب و يافث وهو أبو الترك و يأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما و يدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فى العالمين) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلوا أحد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزى المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الانبياء هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجيء بقلبه ربه انه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على أفك وباطل فى شركهم و يجوز أن يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على أنها افك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شئ ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف

يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم انه استدل بأمارة على أنه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام مافعل وقالوا علم النجوم حق ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الااذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا «فتولوا» فأعرضوا «عنه مدبرين» أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لاتنطقون) والجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله (قال أتعبدون ماتنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وماتعملون) وخلق ماتعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فأرادوا به كيدا) بالقائه فى النار

(فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار «وقال انى ذاهب الى ربى» الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى مافيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب «رب هب لى من الصالحين» بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) حفص والباقون بكسر الياء «انى أرى فى المنام أنى أذبحك» ويفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر «فانظر ماذا ترى» من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وحمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتدبيره «قال يا أبت افعل ما تؤمر» أى ما تؤمر به وقرئ به «ستجدنى ان شاء الله من الصابرين» على الذبح روى أن الذبيح قال لأبيه يا أبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا أوذيك اذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أمى السلام وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا

لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه و وضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا روى أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتحويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي و روى انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي و روى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر و جماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر أن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخر فافتداه بمائة من الابل ولأن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأصمعي انه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال ياأصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن علي وابن مسعود

والعباس و جماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق و يدل عليه كتاب يعقوب
الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو
المفتدي منه لأنه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وههنا أشكال
وهو انه لايخلو اما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار
الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فان كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء
هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان
يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب انه عليه السلام قد بذل
وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا
لا يقدح في فعل ابراهيم و وهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس
اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان
ثابتا الا أن المحل الذي أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ
وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب في آخر الحال على أن المبتغى منه
في حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرفة الذبح
مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر
لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه في الآخرين) ولا وقف
عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزي المحسنين) ولم يقل انا
كذلك هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره
مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين و بشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة
من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي و بشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان
يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية
و ورودها على سبيل الثناء لان كل نبي لا بد وأن يكون من الصالحين (و باركنا عليه
وعلى اسحق) اي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في
أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى

عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر أو محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لايجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله و يعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) انعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان إلياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان ادريس فى موضع الياس (اذ قال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم وقيل فى الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بنصب الكل عراقى غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) أى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب

عبدالله بن الزبير وقومه آل ياسين شامي ونافع لان ياسين اسم أبي الياس فأضيف
اليه الآل (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين) في الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا
(الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين في الصباح (وبالليل)
والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام
ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام
كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة
فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرد بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق)
الاباق الهرب الى حيث لا يهتدي اليه الطلب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه
اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه
العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة
فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة اذا كان
فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في
الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام
على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت)
فابتلعه (وهو مليم) داخل في الملامة (فلولا أنه كان من المسبحين) من الذاكرين
الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أو
من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو
صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث في بطنه الى يوم
يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا
الى يوم القيامة وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن
الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فألقيناه بالمكان الخالي
الذي لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى
انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أي أنبتناها فوقه

مظلةله كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لايجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وأرسلناه الى مائة ألف)أو المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا رآها الرأى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) الى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا الله تعالى الأناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا أنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون)بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا)وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا

القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ماوقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) ياأهل مكة (وماتعبدون) ومعبوديكم (ماأنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصل الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والضالون على معناه (ومامنا) أحد (الا له مقام معلوم) فى العبادة لايتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه ان يكون هذا وماقبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لاتقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف تكون مناسبين لرب العزة ومانحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لايستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون

أقدامنا العبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ومامن المسلمين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة
على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم
الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه عما لايجوز عليه (وان كانوا
ليقولون) أي مشركوا قريش قبل مبعثه عليه السلام (لوأن عندنا ذكرا من
الأولين) أي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا
عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا
فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب
(فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم ومايحل بهم من الانتقام وان مخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه
فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله
(انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات لانها
لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على
عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن الحسن
ماغلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان
وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب « فتول عنهم »
فأعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها أو الى يوم بدر
أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أي أبصر ماينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو
للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم
فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم)
بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من
أنذر والان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش انذر

بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه مامن عزة لأحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ماخص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ماقاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وماعاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ماقيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه ومن أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



﴿ سورة ص مكية ﴾

﴿ وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذى الذكر) أي ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على انه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أي فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب «ولات» هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما ان النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم «منذر منهم» رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبي من البشر «وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشيء عجيب) ولم يقل وقالوا اظهارا

الغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لايجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذلا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج * وروى أن عمر رضى الله عنه لما اسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه الصلاة والسلام ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه الصلاة والسلام أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا أى أصير ان هذا الشئ عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب مالا مثل له (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أوأن هذا الأمر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أوفى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل هم لم يذوقوا عذابى بعد

فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أى انهم لا يصدقون به الا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ماهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و يترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الأسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبر وا أمر العالم وملكوت الله و ينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أو الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الأوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه و رجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الأيكة) الغيضة شعيبا (أولئك الأحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد

دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد إبهامه والتنويع فى تكريره بالجملة
الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد
أنواع من المبالغة المسجلة عليهم استحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فحق عقاب)
أي فوجب لذلك أن اعاقبهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وما
ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب
(الا صيحة واحدة) أي النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (ما لها من فواق)
وبالضم حمزة وعلى أى ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى
اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها
من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع
الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على
سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله
ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشىء لانه قطعة منه من قطه اذا
قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر
على ما يقولون) فيك وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم
(واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عقاب
الله ما لقى (ذا الأيد) ذا القوة فى الدين مما يدل على ان الايد القوة فى الدين قوله
(انه أواب) أى رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لذى الايد روى أنه كان
يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا
(الجبال معه) قيل كان تسخيرها أنها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد
(يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على
حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شىء وحالا بعد حال (بالعشى والاشراق)
أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس أى تضىء وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها

تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لان الأواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي رضي الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبي هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم في الأمر الذي له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر في الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر

المسجد (اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضرب الله بقصته

عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على
طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل ان
التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه
وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (إن هذا أخى) هو بدل من
هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والألفة أو اخوة الشركة
والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى
حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصوير المسئلة وفرضا لها لا يمتنع
أن يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها
ومالكما من الاربعين الا أربعة ولى ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته
اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها
كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى
انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد
خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث
زوجها دونى ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة
ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على
الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان
ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك
استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة
فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب
وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم
ويروى انه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود وأنت أحق أن
يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف

ماوقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدا وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعيرله لان الظن الغالب يدانى العلم (أنما فتناه) ابتليناه (فاستغفر ربه) زلته (وخر راكعا) أى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد مايصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه الالصلاة مكتوبة أومالابد منه ولايرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الاوثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أى ذلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فى الأرض أوجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله ان كنت خليفة أو بالعدل (ولاتتبع الهوى) أى هوى النفس فى قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب (وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لالحكمة بالغة أومبطلين عابثين كقوله وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أوعبثا فوضع باطلا موضعه أى ماخلقناهما ومابينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لاللحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بأنه خالق السموات والارض ومابينهما لقوله ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت احوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) واصله ليتدبروا وقرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولوا العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها

وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره (فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) أي آثرت حب الخيل عن ذكر ربي كذا عن الزجاج فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من أحباب البعير وهو بروكه حب الخير أي المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت الشمس (بالحجاب) والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام (ردوها على) أي قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلي العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعني يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح السفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكوله في شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن

فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغى) لا يتسهل ولا يكون (لاحد من بعدى) أى دونى و بفتح الباء مدنى وأبو عمرو وانما سأل بهذه الصفة لتكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجرى) حال من الريح (بأمره) بأمر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الأبنية (وغواص) أى و يغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة شياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ماشئت من المنة وهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا أعطى أجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر (واذكر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لانه

غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه انه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الارض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه الصبر رغبهم فى الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة والسبب فى يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه

من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعـة فقد بلغ أمره الى ان لم يبق منـه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (انه أوّاب واذ كر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحق ويعقوب) فن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا تتأتى فيـه المباشرة بالايدى أو كان العمال جذماء لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أولى الأيدى والابصار) اى أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعـملون أعمال الآخرة ولا يجاهـدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيـه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل النصب أو الرفع باضمار أعـنى أو هى أو الجر على البـدل من خالصـة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعـنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس للدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصـة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من اضافـة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغـير ذكرى وذكرى مصـدر مضاف الى المفعول اى باخلاصهم ذكرى الدار وقيـل خالصة بمعـنى خلوص فهى مضافة الى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكر الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثـل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم

(الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت أو ميت (واذكر
اسمعيل واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل)
التنوين عوض عن المضاف اليه أى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين
لحسن مآب) اى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك
لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة
رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن
مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها
مافى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بأنها فاعل مفتحة والعائد
محذوف أى مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى
أى لهم أو أبوابها الا أن الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير
الجنات تقديره مفتحة هى الأبواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور
فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) اى وشراب
كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) اى قصرن طرفهن على
أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كأن
اللذات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ماتوعدون) وبالياء
مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا
لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر
والمبتدا محذوف اى الامر هذا أو هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب)
مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ماتحتهم من النار
بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم وغساق
فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض
أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى
وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال
غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر)

أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخرى بصرى اى ومذوقات اى من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولامرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لامرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لانرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأرذال الذين لاخير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الأخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على أنه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لانراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا أنه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناه عنهم (لحق) لصدق كائن لامحالة لابد أن يتكلموا

به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وما من إله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا أن لا إله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى لانما أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أى الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم (اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا

سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى أسقطوا على الأرض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الأمر (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد) مامنعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لأمرى واعظاما لخطابى وقدمر أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك(٣) نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (أستكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج) منها من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود وتكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم

---

(٣) هكذا وجد بأصل النسخ التى بأيدينا فليحرر.

الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة في الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أولما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه في غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرني) فأمهلني (الى يوم يبعثون) قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذي هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لايتقدم ولايتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) أي أقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره (الاعبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام مكي وبصري وشامي (قال فالحق) بالرفع كوفي غير علي على الابتداء أي الحق مني أو على الخبر أي أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولاأقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أي لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لاأترك منهم أحدا (قل ماأسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وماأنامن المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بماليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولامدعيا بماليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو) ماالقرآن (الاذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي الي فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه و تتعاطى مالاينال ويقول مالايعلم (ولتعلمن نبأه) أي نبأ القرآن ومافيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

﴿ وهى خمس وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا (ألا لله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر أى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فالكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) أى لا يهدى من هو فى علمه انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه

يتخذ له وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا اليه من الأولياء والأولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعني انه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والاولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى يوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الأنعام) أى جعل عن الحسن أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أولانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الأنعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته

هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غني عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم) عن ايمانكم وأنتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) اي يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكي وعلي يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس الانسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس في الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسي ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكي وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أي الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أي في الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرأ بالتخفيف مكي ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهي جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير في قانت (يحذر الآخرة) اي عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) اي الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا والخوف اذا جاوز حده يكون ايا سا وقد قال

الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لاييأس من روح الله الا
القوم الكافرون فيجب أن لايجاوز أحدهما حده (قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لايعلمون) اي يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لايعمل غير
عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لايقتنون ويفتنون فيها ثم
يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه
أي كالايستوي العالم والجاهل كذلك لايستوي المطيع والعاصي (انما يتذكر
أولوا الألباب) جمع لب أي انما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قل ياعبادي الذين
آمنوا) بلاياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي أطاعوا الله في الدنيا وفي يتعلق باحسنوا
لابحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول
الجنة أي حسنة لاتوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية
ومعنى (وأرض الله واسعة) أي لاعذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا
بانهم لايتمكنون في أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان ارض الله
واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم الى
غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (انما يوفى الصابرون)
على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في
طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضي الله عنهما
لايهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أي موفرا (قل اني
أمرت أن أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصا له الدين) أي أمرت باخلاص الدين
(وأمرت لأن أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين
أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبقة في الدين فمن
أخلص كان سابقا فالأول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف
جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل إني أخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك أن كفار

قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت رداعليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية أخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) اى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (وأهليهم) اى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه و وسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا و بالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل الآخرين أى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب أو وذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به و يجتنبوا مناهيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع

الضمير أراد أن يكونوا انقادا فى الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه فمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لأولى الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن

اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أي وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أي من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) في ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابها) يشبه بعضه بعضها في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثاني) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل واعجاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته الا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته

سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) يخلق الضلالة فيه (فماله من هاد) الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه (وقيل للظالمين) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنهم (فأذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل

الكافر ومعبود به يعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن يعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أي ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو

وتسألني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أي انك واياهم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان (ثم انكم) أي انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله

ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن علي رضي الله عنه أنه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضي الله وروى أن الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بني مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفي فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أي محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أي الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أي بالاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بأن الله تعالى خالق السموات والارض بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عني (أو أرادني برحمة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل بصري وفرض المسئلة في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادني خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على

خلاف ذلك فلما أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبي الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبودهم (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (اني عامل) أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أي عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ماهي به حية حساسة دراكة (والتي لم تمت في منامها) ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التي قضي) قضى حمزة وعلى (عليها الموت الحقيقي أن لا يردها في وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضرب به لموتها وقيل يتوفى الانفس أي يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس

التمييز قالوا فالتي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير أن أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى أن ارواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له في السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (إن في ذلك) ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أي اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أي نفرت وانقبضت

(قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه) يعني آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (إذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها وإذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه والعامل في إذا ذكر هو العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموت والارض) أي يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (أنت تحكم) تقضي (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين إلى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعي عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي أنه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (بما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه تفضلا تقول خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لأن جواب اذا (قال إنما أوتيته على علم) مني اني سأعطاه لما في من فضل

واستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي وانما ذكر
الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظراً الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما
منها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أي ان الذي أوتيته على
علم (بل هي فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي
ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث
المبتدأ لأجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
انها فتنة والسبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو
أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم
يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا
من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض
﴿ فان قلت ﴾ حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه ﴿ قلت ﴾
ما في الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله
وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار
اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل
يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله
ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به
كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم
عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها
فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد
يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا
مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجأ
المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا في الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة
وهي قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أي قارون وقومه حيث قال انما أوتيته
على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية

آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأنه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل ياعبادى الذين) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قرأة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لاتخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير (ياحسرتا) الألف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الأصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب

الله) أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لأجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو التوحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أو تقول لو أن الله هدانى) اى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم لو هدانا الله لهدينا كم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعونا كم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية بخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفى تقديرى لان المعنى لو أن الله هدانى ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على

الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس في جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم اى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شئ) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شئ وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) اى هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق كل شئ فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على أن كل شئ في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله

وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى أعبد) تأمرونى مكى تأمرونني على الاصل شامي تأمرونى مدنى وانتصب أفغير الله بأعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لأن معناه أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب سادمسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أوجهة مجاز والمراد بالارض الأرضون السبع

يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال اى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف و يقال أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته اى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الأرضين مع عظمهن و بسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور أكلة لقمان اى لا تفى الا بأكلة فذة من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى أن الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع و بيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) اى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش او رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الأولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الأولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) أى بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك أضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الأرض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله و ينصب فيها موازين

قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام أبو منصور رحمه الله يجوز أن يخلق الله نورا فينور به أرض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أي صحائف الأعمال ولكنه أكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجئ بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الأبرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أي أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة (وقال لهم خزنتها) أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بني آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف

من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا أن جزاؤها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شىء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جئ بالواو كأنه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الأرض) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) فى الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى

يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما

﴿ سورة المؤمن مكيه ﴾

﴿ وهى خمس وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقوّل عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين أوذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل (فان قلت كيف) اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة * قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون فى تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها ابدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب

بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى هو لا اله الا بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه (لا اله الا هو) صفة أيضا لذي الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدنى وشامى (انهم أصحاب النار) فى محل

الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من
أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب
اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال
الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الأمم كذلك وجب
اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار و يلزم الوقف على
النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش ومن حوله) يعني حاملين العرش
والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لأصحاب النار وفساده
ظاهر و روى أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع
الملائكة أن يغدوا و يروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة
وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم
يهللون و يكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل
ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدا وهو الذين
(بحمد ربهم) أي مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمدلة (و يؤمنون به)
وفائدته مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده
مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في
غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين
آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وقد روعي التناسب في قوله و يؤمنون به
(و يستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل و يؤمنون به و يستغفرون لمن في مثل
حالهم وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء الى
النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن (ربنا) اي يقولون ربنا وهذا
المحذوف حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء
في المعنى اذ الاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله

بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى
وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) اى الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر
الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) اى طريق الهدى الذى دعوت اليه (وقهم عذاب
الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من فى موضع
نصب عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم والمعنى وعدتهم و وعدت من صلح
من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) اى الملك الذى لا يغلب
وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفى
بوعدك (وقهم السيئات) اى جزاء السيئات وهو عذاب النار (ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته وذلك) اى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون)
اى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله
أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى
بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت
الاول عند الزمخشرى والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة
بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون
عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن
وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره
اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان
فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر
من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق
به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا
بالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان
فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين) اى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا

أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال
سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر
ولا من صغر الى كبر والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد
فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه
عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الأولى فى الدنيا والاحياءة الثانية البعث
ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى
الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد
موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء وقد تكرر
عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم
التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار اى
الى نوع من الخروج سريع أو بطىء لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون
ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بأنه اذا دعى الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) اى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى
خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمدى (العلى) شأنه فلا يرد قضاؤه (الكبير) العظيم
سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا
وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون
أى يقولون لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذى
يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم
من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر
الامن ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى
الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين
له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على

دينكم (رفيع الدرجات ذوا العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم أو اخبار مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيا به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) اى الله أو الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شئ) اى من أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الأزفة) أى القيامة سميت بها لأزوفها أى لقربها ويبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى يعنى ترفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويتروحوا (كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع يطاع) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة

حقيقة لاتكون الالمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله

ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد به نفى الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع ألبتة (يعلم خائنة الأعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى مالايحل (وماتخفى الصدور) وماتسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبيه بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله و يعلم خائنة الأعين خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته (والله يقضى بالحق) أى والذى هذه صفاته لايحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لايقضون بشىء) وآلهتهم لا يقضون بشىء وهذا تهكم بهم لان مالا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أولا يقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور و وعيد لهم بأنه يسمع مايقولون و يبصر مايعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه أن يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى انه لا يدخله الالف واللام فأجرى مجراه منكم شامى (وآثارا فى الأرض) أى حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله (ذلك بأنهم) أى الأخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى) قادر على كل شىء (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا

قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) ضياع يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (أو أن يظهر) موسى (فى الأرض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد فى الأرض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وان ومعناه انى اخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر

لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الأذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا جمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوه والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل والظاهر الأول (أتقتلون رجلا أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا رب وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فانه يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى أصابة الكل فكانه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدى من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا أيضا من باب المجاهلة والمعنى أنه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده

بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى عليه السلام وهو يعنى به فرعون (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الأرض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الأحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم ولا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بأنه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى أن تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم

القيامة التنادي مكي و يعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الاية على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف وقيل ينادي مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا ألا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن مواقف الحساب الى النار (مالكم من الله)من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فماله من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) وهو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر و بخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فمازلتم في شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز أن يرفع الذين على الابتداء ولابد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الأذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لي صرحا) أي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال

صرح الشيء اذا ظهر (لعلي) وبفتح الياء حجازي وشامي وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى إله موسى) والمعنى فانظر اليه (واني لأظنه) أي موسى (كاذبا) في قوله له إله غيري (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفي ويعقوب أي غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا في تباب) خسران وهلاك (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون) اتبعوني في الحالين مكي ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي أجمل أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هي الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هي دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكي وبصري ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار بقوله (ويا قوم مالي) وبفتح الياء حجازي وابو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أي الجنة (وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله) هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال وأشرك به وما ليس باله كيف يصح أن يعلم إلها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى

وتنكير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لارد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله أي حق و وجب بطلان دعوته (ان ماتدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه ان ما يدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته وماتدعون اليه والى عبادته لايدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه بالجزاء في قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وان رجوعنا اليه (وان المسرفين) وان المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمري) وبفتح الياء مدني وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) بأعمالهم وما لهم (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وماهموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) اى في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدني وحمزة وعلي وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) اى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر

(وإذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) اتباعا كخدم في جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أي إنا كلنا فيها لا يغني أحد عن أحد (إن الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أدعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة توبيخالهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأتيكم) تفسير للقصة (رسلكم بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازي عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم اي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) اي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بني

اسرائيل الكتاب) اى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس اى تركنا الكتاب من بعده الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لأولى الألباب) لذوى العقول (فاصبر) على مايجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعنى أن ماسبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) اى لذنب أمتك (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) اى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) لاوقف عليه لان خبر ان (إن فى صدورهم إلا كبر) تعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لايكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ماسبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لايتأملون لغلبة الغفلة عليهم (ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) لا زائدة (قليلا ماتتذكرون) تتعظون بتاء بن كوفى وبياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (إن الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى)

اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أى ساكن لا ريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق افك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه

(مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذى خلقكم) أى أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم ترالى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الأمور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرون فى الماء الحار (ثم فى النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) اى تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام التى تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أى تبين لنا انهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم

شـيأ كما تقول حسبت أن فلاناشيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنـده خيرا (كذلك يضل الله الـكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهـم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهـة لم يتصادفوا أو كما أضـل هؤلاء المجادلين يضـل سائر الـكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلـكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغـير الحق و بما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لـكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لـكم قال الله تعالى لها سـبعة أبواب لـكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتـكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يامحمد (ان وعد الله) باهلاك الـكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصـله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفـعل ألا تراك لا تقول ان تـكرمنى أكرمك ولـكن اما تـكرمنى أكرمك (بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره وما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم نذكر قصته فى القرآن (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية الا باذن الله فمن أين لى أن آتى بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله و يأذن فى الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أى يوم القيامة وهو وعيـد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذى جعل) خلق (لـكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولـكم فيها منافع) أى الألبان والأوبار

(ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الأمور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) أى على الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا فى الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم أنفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا لى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين به مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التى قد خلت فى عباده) ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل

بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم

﴿ سورة فصلت مكية ﴾

﴿ وهي ثلاث وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدا (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف أو تنزيل مبتدا (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والأظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي

قرآناعربيا كائنالقوم عرب (بشيراونذيرا) صفتان لقرآنا (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وماهم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أونحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أوفاعمل في ابطال أمرنا اننا عاملون في إبطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم إله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا في أكنة ووجهه أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي الى دونكم فصحت نبوتي بالوحي الى وأنا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى مايسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أولا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف

شديد من منعها (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين» الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء أشباها (ذلك) الذى خلق ماسبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت «من فوقها» انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عز وجل «وبارك» بالماء والزرع والشجر والثمر «فيها» فى الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها «وقدر فيها أقواتها» أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الأرض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام أى فى أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أى هى سواء غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها

قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا ير يدون انه أكمل الأول وابتدأ الثانى و يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض و به قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والأرض بالاتيان وامتثالهما انه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء فى الأمر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى عليه أن تأتيا من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فأحكم خلقهن قال

* وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات ان الاول على الحال والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الأرض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز)

الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذاباً شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة (أن) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لا تعبدوا الا الله قالوا) أي القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لن نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فأتاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيأ الا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فأخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الأرض بغير استحقاق الولاية (وقالوا من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الأشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة

(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور (في أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الأربعاء في آخر شوال الى الأربعاء وما عذب قوم الا في الأربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على انه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم (وأما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه * فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة * قلت للدلالة على انه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على

الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلوا منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذى ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهى الرجوع جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) أى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(قيضنا لهم) أي وقيضنا بمعنى وسلطنا عليهم (قرناء) أي...

(قر ينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) أى ماتقدم من أعمالهم وماهم عازمون عليها أومابين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وان لابعث ولاحساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لاطائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطوا واتحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى أعظم عقوبة على أسوإ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الأسوإ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أوخبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (اللذين أضلانا) أى الشياطين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) فى النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) أى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الأوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا

روغان الثعالب أي لم ينافقوا وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه (لاتخافوا) والهاء ضمير الشأن أي لاتخافوا ماتقدمون عليه (ولاتحزنوا) على ماخلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أوحصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لاتخافوا سلب الايمان ولاتحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين واحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ماتدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون او جميع الهداة والدعاة الى الله (ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال (ومايلقاها) أي ومايلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين

صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) الارجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي هي أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقال ادفع التي هي أحسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ) شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير في خلقهن للآيات أو لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أي الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به

وأبوا الا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف اى يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله (ان ربك لذو مغفرة) وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أى الذكر (قرآنا أعجميا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت

بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لانكر وا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أومرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والأعجمى الذى لايفصح ولايفهم كلامه سواء كان من العجم أوالعرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحا كان أوغير فصيح والمعنى ان آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على انه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لأبى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذ قرأ بالفارسية (قل هو) اى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشادا الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لايؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم الا أن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش أوالرفع وتقديره والذين لايؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لايسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لأهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وماربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسىء (اليه يرد علم الساعة) أى علم قيامها يرد اليه أى يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك (وماتخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها)

أو عينها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أى ما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاخبار للعالم بالشئ فيتحقق بما علم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة من بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حقى وصل الى لأنى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عنى (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) أى الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم

بحقيقة ماعملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أوذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (واذامسه الشر) الضر والفقر (فذودعاء عريض) كثير أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم أوقنوط في البر وذودعاء عريض في البحر أوقنوط بالقلب ذودعاء عريض باللسان أوقنوط من الصنم ذودعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عندالله ثم كفرتم) به ثم جحدتم انه من عندالله (من أضل) منكم الا أنه وضع قوله (ممن هو في شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي القرآن أو الاسلام (أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد أي أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد (ألا انهم في مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم

﴿ سورة شورى مكية ﴾

وهي ثلاث وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(فصل) (حم) من (عسق) كتابة مخالفة لكهيعص تلفيقا بأخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحي اليك) اى مثل ذلك الوحي اومثل ذلك الكتاب يوحي اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعني ان ماتضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله اليك مثله في غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعني الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب الا أوحي اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكي ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب في فعله وقوله (له مافي السموات ومافي الارض) ملكا وملكا (وهو العلي) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلي (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصري وأبو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنها بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ماعلى السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها أن تئط

مافيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (و يستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله و يستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله و ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى و يستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله فى كتبه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى مكة لأن الارض دحيت من تحتها أو لانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (مالهم من ولى) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من

شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفتكم فيه الكفار
من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين
(فحكمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله تعالى) وهو اثابة المحقين فيه
من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربي عليه توكلت) في رد
كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف
فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم
كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على انه أحد اخبار
ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس
(أزواجا ومن الانعام أزواجا) أي وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم)
يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) في هذا التدبير وهو ان جعل الناس
والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على
به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير في يذرؤكم
يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
(ليس كمثله شيء) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل وتقديره ليس مثله
شيء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شيء كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به وهذا لان المراد نفي المثلية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل
وقيل المراد ليس كذاته شيء لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفي البخل عن
ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد
مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء
وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان
معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان
فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى
انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو
السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكأنه

ذكرهما لئلا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر في الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يضيق (انه بكل شيء عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا في الدين قال علي رضي الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) أي أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من بعد ما جاءهم العلم) الا من بعد أن علموا ان الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهي يوم القيامة (لقضي بينهم) لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل في ريبة وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب

الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأي كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لأعدل بينكم) في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أي كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز أن يكون معناه انا لا نؤاخذ بأعمالكم وانتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم أنها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري والمراد مجيء الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الميزان بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا

بالكتاب والعدل قبل أن يفاوجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لامحالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ماعند صاحبه (لفي ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أو هو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ماجحدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذي لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمي مايعمل العامل مما يبتغي به الفائدة حرثا مجازا (نزد له في حرثه) بالتوفيق في عمله أو التضعيف في احسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أي شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لاما يريده ويبتغيه (وماله في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يذكر في عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب (أم لهم شركاء) قيل هي أم المنقطعة وتقديره بل آلهم شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أي

القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان أخرعنهم في دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين في الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أي الفضل الكبير (الذي يبشر الله) يبشر مكي وأبو عمرو وحمزة وعلي (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسألكم عليه) على التبليغ أجرا الا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي أي لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروى أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أي الا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب

طاعة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نزد له فيها حسنا) أى نضاعفها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو المصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل التوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدا قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق

العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو أن لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الأحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (و يعفو عن السيآت) وهو مادون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (و يعلم ماتفعلون) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله) أى اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ماطلبوا وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير و يجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه و يستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بأن يقبل توبتهم اذا تابوا و يعفو عن سيآتهم و يستجيب لهم اذا دعوه و يزيدهم على ماسألوه * وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له مابالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) فى الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا فى الارض) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذلك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أومن البغى وهو الكبر أى لتكبروا فى الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بقدر مايشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ماتقتضيه حكمته فيفقر و يغنى و يمنع و يعطى و يقبض و يبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وماترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذى ينزل الغيث) و بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ماقنطوا) وقرئ قنطوا (و ينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أى علامات قدرته (خلق السموات

والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا
على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) في السموات والارض (من دابة) الدواب
تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء الى جميع المذكور وان
كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق
في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الارض أو يكون للملائكة
مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسي (وهو على جمعهم) يوم
القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى
والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أي
بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدني وشامي على أن ما مبتدأ
وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى
الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا
عليها قبل هذه الحالة لما تألموا قلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو
(ويعفوا عن كثير) أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا
يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب
باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه اليه وقال
محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجنايته في طاعته أكثر من جنايته
في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده
من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته
لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن
لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين في
الارض) أي بفائتين ما قضي عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي)
متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار)
جمع جارية وهي السفينة الجواري في الحالين مكي وسهل ويعقوب وافقهم مدني

وأبو عمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لاتجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الأنصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلاة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لاينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله

الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار فى الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى أخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الأمور) أى من الأمور التى ندب اليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) فماله من أحد يلى هدايته من بعد اضلال الله إياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع

الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار من (طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله)من دون عذابه (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى مادعاكم اليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لامردله من الله) من يتصل بلامرد أى لايرده الله بعد ماحكم به أو بيأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لايقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولاتقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون فى صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ماعليك الاتبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا أذقنا الانسان) المراد الجمع لاالواحد (منارحمة)نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطرلأجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى (بماقدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور)ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لماذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد مايشاء فيخص بعضا

بالأناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الأناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الأناث التى من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله الا وحيا) أى إلهاما كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الأنبياء وحى وهو كأمر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أو من وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أو يرسل رسولا) أى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بأن يوحى أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك)

أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) احياء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) أى شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الأمور)هو وعيد بالجحيم و وعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة الزخرف مكية ﴾

﴿ وهى تسع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذى أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الأمة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح

محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ أم الكتاب بكسر الألف على وحمزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينهما (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذود عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون على خلاف ماقدم من انزاله الكتاب وجعله قرآناعربيا ليعقلوه وليعملوا بموجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدنى وحمزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين) أى كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا) كوفى وغيره مهادا أى موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فأنشرنا) فأحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يزيد ميتا (كذلك تخرجون)

من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذى صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذى لان هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الأخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى انكار البعث (والذى خلق الأزواج) الأصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) أى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ماتركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بألسنتكم (سبحان الذى سخرلنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كناله مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشىء اذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مراكبهم منها وهو الجنازة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم * وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده أنه هالك لامحالة ومنقلب الى الله غير منقلب من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم من خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم

حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءالله و بعضهم منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعنى انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وار بد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظاول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك و يتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلى وحفص أى يربى قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أى لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها

ولكن شاءمنا عبادة الاصنام والله رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مالهم بذلك) القول (من علم ان هم الا يخرصون) أي يكذبون ومعنى الآية عندنا انهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها مع قهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله إن أنتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها الا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) أي متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان أن تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص أي النذير قل غيرهما أي قيل للنذير قل (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) إنا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر

كيف كان عاقبة المكذبين وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) أي واذكر اذ قال(إنني براء)أي برىء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إنني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عاقبه) فى ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله و يدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن؛ فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) أى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من احدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة و بعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمة ربك) اى النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (فى الحيوة الدنيا) أى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله

(ورحمت ربك) أى النبوة أودين الله ومايتبعه من الفوز فى المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه مايقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرأ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة أى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أى ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك (ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (أنهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه

فجاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقى غير أبى بكر أى العاشى جاآنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذظلمتم) اذصح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذبدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
ولا يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولا ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على أن توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) قبل أن نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لاعوج له (وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأمتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل

من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكى وعلى ورسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذاهم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا ياأيها الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر ياأيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (أدع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك

مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر منادياً فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعاً له (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) اى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وعن الرشيد انه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع أسوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساور جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لأنهم كانوا اذا أرادوا تسوير الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفاً اذا اشتد غضبه ومعناه أنهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفاً) جمع سالف كخادم وخدم سلفاً حمزة وعلى جمع سليف

أي فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال و يقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجيء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبي صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدني وشامي والاعشى وعلي من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق و يعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف و يعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أي ماضربوا هذا المثل (لك إلا جدلا) الالأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعري بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ماعيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض) أي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم في الارض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يارجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لاتتولد الامن أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أي وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أي واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي أو هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم أي هذا الذي أدعوكم اليه (ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالساعة أو عن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أي بالانجيل والشرائع (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى أو للكفار (ان تأتيهم) بدل من الساعة أي هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) أي وهم غافلون لاشتغالهم بأمر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع

خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو وأى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الا خلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول الفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى العيون (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول يتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض أى لا تأكلون الا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا * وفى الحديث لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لايفتر عنهم) خبر آخر أى لايخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يامالك) لما أيسوا

من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود
قرأ يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليمتنا من
قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا
(قال انكم ماكثون) لابثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد
جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا
أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد
بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون)
لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا)
أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا
مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم
(ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع
عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن
يحيى ابن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله
أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح
ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى
طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على
سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في
نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له
والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت إلها غيرك وقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم
باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هي ان
النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر

قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون انه صدقني فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد حمزة وعلي ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أي هو رب السموات والأرض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طيء وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طيء جواد في تغلب وقريء وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الارض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيأ والتقدير وهو الذي هو في السماء إله و إله يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ولا يرتفع إله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) في أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذي له ملك السموات والارض ومابينهما وعنده علم الساعة) أي علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكي وحمزة وعلي (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) أي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب)

والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة ويعلم قيله أى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) كأنه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون وأقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى

﴿ سورة الدخان مكية ﴾

(وهى تسع وخمسون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له

(حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء

الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تجئ في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعني بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم (رب) كوفي بدل من ربك وغيرهم بالرفع أي هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم

(ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم ردأن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم و إيقان بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (فارتقب) فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان) بأى دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى سنؤمن أن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة أو يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا

من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا إلى) هي أن المفسرة لان مجيء الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وأرسلوهم معي كقوله أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بقوله (إني لكم رسول أمين) أي على رسالتي غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) ان هذه مثل الاولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (إني آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أني نبي (واني عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلي (بربي وربكم أن ترجمون) أن تقتلوني رجما ومعناه انه عائذ به متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني أو فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجموني فاعتزلوني في الحالين يعقوب (فدعى ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ أن هؤلاء بالكسر على اضمار القول أي فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازي من سرى والقول مضمر بعد الفاء أي فقال اسر (بعبادي) أي بني اسرائيل (ليلا انكم متبعون) اي دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يابسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أي

أتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إنهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لأنهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هوما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه بتعذيبهم واهانتهم أوخبر مبتدا محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة و بأنهم أحقاء بأن يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (مافيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ما الموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال ان الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى يجحدوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا و بين قوله الا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (ومانحن

بمنشرين) بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ماتعدونه من قيام الساعة و بعث الموتى حق (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ماأدرى أكان تبع نبيا أوغير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (لاعبين) حال ولولم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الابالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لايعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى ولى كان عن أى ولى كان شيأ من اغناء أى قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للولى لأنهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الامن رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لايمنع من العذاب الامن رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذا و بهذا نستدل على أن ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذ كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالا

يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (يغلى فى البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء الطعام (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا أنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أى لانك على (ان هذا) أى العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وهو تعريب استبر والفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى (متقابلين) فى مجالسهم وهو أتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أى فى الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أى الفضل فهو مفعول

له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

﴿ سورة الجاثية مكية ﴾

(وهى سبع وثلاثون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره (ان فى السموات والأرض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان فى خلق السموات والأرض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى

أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فإنه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكر في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور ومعطوفا على ما قبله أو على التكرير توكيدا الآيات في الأولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها بإضمار هي والمعنى في تقديم الآيات على الإيقان وتوسيطه وتأخير الآخر أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلهم من حال إلى حال وفي خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازي وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) يبالغ في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول (كأن لم

يسمعها) كأن مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبه (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) هو تأكيد ما فى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أى سخر هذه الأشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر

مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لايرجون أيام الله) لايتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الأوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كانه قيل ليجزى ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لايقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (الامن بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أى الامن بعد ماجاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغى حدث بينهم أو لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لاعن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالأمر والدلائل (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولاتتبع مالا

حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى و بدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (ان نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد سواء على يحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام الطاعة وأولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى و يردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها و يبكى ويقول يافضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد فى مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى

هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فأصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ما قال

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة * وكان اليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ما هويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق

(وقالوا) ماهى اى ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الاحياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو نموت بعض و يحيا بعض أو نكون نطفا فى الاصلاب أمواتا ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (ومايهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الآيام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) ومايقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن يعنى ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه فى زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أى احيوهم (ان كنتم صادقين) فى دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) اى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان

قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) اى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شىء الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيآت ما عملوا) قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة واضافة

اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) أى منزلكم (ومالكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها) لايخرجون حمزة وعلى (ولاهم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والأرض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء فى السموات والأرض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه

﴿ سورة الأحقاف مكية ﴾

﴿ وهى خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) متلبسا بالحق (وأجل مسمى) و بتقدير أجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لايؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له و يجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) أخبرونى (ماتدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شئ خلقوا مما فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والارض (إئتونى بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا

الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما
من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد
منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو اثارة من علم) أو بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة
الاوثان (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم
عن دعائهم غافلون) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي الاصنام
لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون
ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار أن يكون في الضلال
كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على
كل شيء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم
مادامت الدنيا الى أن تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم
أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا
بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى
العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه
طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا
للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع
الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادؤه بالجحود
ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين)
ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم
الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أي اختلقه وأضافه
الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من
الله شيأ) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا

تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى اني لست بأول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا في قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفي لتناول النفي فما أدري ما وما في حيزه (ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روي أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أي مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد ونحو ذلك يعني كونه من عند الله (فآمن)

الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع قول القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ماسبقونا اليه) لو كان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه هؤلاء (واذلم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا إفك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولاهم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين

فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بأن يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بأمر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على انه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد أن يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين) المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الأمير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرمهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق

رضى الله عنه وفى أبيه أبو قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله (أف لكما) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعدانني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الأرض (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أى لأملأن جهنم (فى أمم) فى جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكى وبصرى

وعاصم (وهم لايظلمون) أى وليوفيهم أعمالهم ولايظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم
على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف
(ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم
عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من
قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم)
أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم فى حياتكم الدنيا) أى ما كتب
لكم حظ من الطيبات الا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق
لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لوشئت لكنت أطيبكم
طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات
(فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون)
تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى باستكباركم وفسقكم
(واذكر أخا عاد) أى هودا (إذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء من أحقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى
الله عنهما هو وادبين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو
الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا الا الله
انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك
والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أى
قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن
آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت
من الصادقين) فى وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجئ العذاب (عند الله) ولاعلم
لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وبالتخفيف أبو
عمرو وأى الذى من شأنى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف
(ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى ولكنكم جاهلون لاتعلمون أن الرسل بعثوا

منذرين لامقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذى يعرض فى افق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روى أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أى قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزى القوم المجرمين) أى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا أن ان احسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى أن الاصل فى مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بأنا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى أو نكرة موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذا أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا أن اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به

يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) اى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين (يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام «فلما حضروه» أى الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن اى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا نبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا القراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى

رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن
نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى)
أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا
ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا
على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى
عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى
طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضي الله عنه لاثواب
لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم
الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون
لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الأرض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال
مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله
وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالأمر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه
خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على
أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله
بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم
(على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير ويوم يعرض
الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر
وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)
بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولو العزم) أولوا الجد والثبات والصبر (من الرسل)
من للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الأحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا
تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم

صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

(وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية)

﴿ وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله » أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا أى أعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على

محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ ومابعده خبره أى ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيآت الثانى والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب « يضرب الله » أى يبين الله « للناس أمثالهم » والضمير راجع الى الناس أوالى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أوجعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب « فضرب الرقاب » أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته « حتى اذا أثخنتموهم » أكثرتم فيهم القتل « فشدوا الوثاق » فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم « فأما منا بعد » أى بعد أن تأسروهم « واما فداء » منك فداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور

فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم
بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى
باسارهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو
قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند
الشافعى رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الأمور الاربعة القتل والاسترقاق
والفداء بأسارى المسلمين والمن « حتى تضع الحرب أوزارها » أثقالها وآلاتها التى
لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى تترك أهل
الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلو من أن يتعلق بالضرب
والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعى رحمه الله انهم لا يزالون
على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا
نزل عيسى عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى
انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة
للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر
أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل « ذلك » أى الامر
ذلك فهو مبتدأ أو خبر أو فعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر
منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير
ذلك (ولكن) أمركم بالقتال « ليبلو بعضكم ببعض » أى المؤمنين بالكافرين
تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين « والذين قتلوا » بصرى وحفص قاتلوا
غيرهم « فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم » الى طريق الجنة أو الى الصواب
فى جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم
(ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا
أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة « يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله » أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت

أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على حجة الاسلام « والذين كفروا » فى موضع
رفع بالابتداء والخبر « فتعسا لهم » وعطف قوله « وأضل أعمالهم » على الفعل
الذى نصب تعسا لان المعنى فيقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى
الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار « ذلك » أى التعس
والضلال « بأنهم كرهوا ما أنزل الله » أنه القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى
الارض » يعنى كفار أمتك « فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله
عليهم أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك
الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين
(بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أى
لا ناصر لهم فالله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة
فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى
المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة
الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل
الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى
لهم) منزل ومقام (وكاين من قرية) أى وكم للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال
أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية هى أشد
قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر
لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه)
أى على حجة من عنده و برهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم
الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل
على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشان (التى وعد المتقون) عن
الشرك (فيها أنهار) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك

التى فيها أنهار أوحال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء اذا تغير طعمه وريحه آسن مكى (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أى ماهو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره «ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» مثل مبتدأ خبره «كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما» حارا فى النهاية «فقطع أمعاءهم» والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار وهو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم «ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا» هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء «أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن «زادهم» الله «هدى» اى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم «وآتاهم تقواهم» أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم ما يتقون «فهل ينظرون الا الساعة» أى ينتظرون «أن تأتيهم» اى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة «بغتة» فجأة «فقد جاء أشراطها» علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش والتقدير فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم «فاعلم أنه» ان الشأن «لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم

بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك
وفى شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه
غير أن ذنب الانبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من
الصغائر والكبائر وقيل الفاآت فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال
«والله يعلم متقلبكم» فى معايشكم ومتاجركم «ومثواكم» ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم
ومثواكم فى الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل
سفيان بن عيينه عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك فامر بالعمل بعد العلم «ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة» فيها ذكر
الجهاد «فاذا أنزلت سورة» فى معنى الجهاد «محكمة» مبينة غير متشابهة لا تحتمل
وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان
النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير
منسوخ الى يوم القيامة «وذكر فيها القتال» أى أمر فيها بالجهاد «رأيت الذين فى
قلوبهم مرض» نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها «ينظرون اليك
نظر المغشى عليه من الموت» أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من
أصابته الغشية عند الموت «فأولى لهم» وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى
وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه «طاعة وقول معروف»
كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم «فاذا عزم الامر» فاذا وجد
الامر ولزمهم فرض القتال «فلو صدقوا الله» فى الايمان والطاعة «لكان»
الصدق «خيرا لهم» من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من
التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا
أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن
ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب
وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى أن تفسدوا

والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ان توليتم «أولئك» اشارة الى المذكورين «الذين لعنهم الله» أبعدهم عن رحمته «فأصمهم» عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن أبصارهم طريق الهدى «أفلا يتدبرون القرآن» فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لايجسروا على المعاصي «أم على قلوب أقفالها» بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لايتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك والمراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع «ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى» أي المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم «الشيطان سوّل» زين «لهم» جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملي لهم) ومد لهم في الآمال والأماني وأملي أبو عمرو أي أمهلوا ومد في عمرهم «ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله» أي المنافقون قالوا لليهود «سنطيعكم في بعض الامر» أي عداوة محمد والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حمزة وعلي وحفص اسرارهم غيرهم جمع سر «فكيف اذا توفتهم الملائكة» أي فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضي الله عنهما لايتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره «ذلك» اشارة الى التوفي الموصوف «بانهم» بسبب انهم «اتبعوا ما أسخط الله» من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين «فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم» أحقادهم والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالى لايبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين «ولو نشاء لأريناكهم» لعرفناكهم ودللناك عليهم «فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه ماخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان

يعرفهم بسيماهم «ولتعرفنهم فى لحن القول» فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لايقدرون على كتمان مافى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لأرينا كهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف «والله يعلم أعمالكم» فيميز خيرها من شرها «ولنبلونكم» بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى اظهار العدل «حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» على الجهاد أى نعلم كائنا ما علمناه ان سيكون «ونبلوا أخباركم» أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلوا أبو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقدمر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء «ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم» قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم «فلا تهنوا» فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو «وتدعوا الى السلم» وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح «وأنتم الاعلون» أى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة أى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع فى اسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) اى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض (ان يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) أى الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال

الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (هاأنتم) ها للتنبيه «هؤلاء» موصول بمعنى الذين صلته «تدعون» أى أنتم الذين تدعون «لتنفقوا فى سبيل الله» هى النفقة فى الغزو أو الزكاة كانه قيل الدليل على انه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون الى أداء ربع العشر «فمنكم من يبخل» بالرفع لان من هذه ليست للشرط أى فمنكم ناس يبخلون به «ومن يبخل» بالصدقة وأداء الفريضة «فانما يبخل عن نفسه» أى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه «والله الغنى وأنتم الفقراء» أى انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب «وان تتولوا» وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا «يستبدل قوما غيركم» يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس «ثم لا يكونوا أمثالكم» أى ثم لا يكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم.

﴿ سورة الفتح مدنية ﴾

(وهى تسع وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ
الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن
المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن
ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم
وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك
أنه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في
البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا
لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من
الفتاحة وهي الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا
فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح
بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للعدو سببا
للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر
العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح
مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل «ماتقدم من ذنبك
وماتأخر» يريد جميع مافرط منك أو ماتقدم من حديث مارية وماتأخر من امرأة زيد
(ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يديك (ويهديك صراطا
مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا
لاذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)
السكينة السكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة
بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على ماأمر الله والثقة
بوعد الله والتعظيم لأمر الله (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات) أى ولله جنود السموات والأرض يسلط

بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما اقضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا أن المفتوح غلب فى ان يضاف اليه مايراد ذمه من كل شئ وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والأرض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبر (انا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزيز دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبى صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكى وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع (إن الذين يبايعونك) أى بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من

يطع الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله خبران (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه به الا عليه قال جابر ابن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) و بالنون حجازى وشامى (أجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك أنه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذين خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلى (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا

أعتدنا للكافرين) أى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والأرض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وكان الله غفورا رحيما) سبقت رحمته غضبه (سيقول لك المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلم الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك انه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله تعالى بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الأول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفى الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل)

أى عن الحديبية (يعذبكم عذاباً أليما) فى الآخرة (ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدنى وشامى (لقد رضى الله على المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه (فأنزل السكينة عليهم) أى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هى ما أصابوه مع النبى صلى الله عليه وسلم و بعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله سبحانه وتعالى (وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هى مغانم

هوازن فى غزوة حنين (لم تقدر واعليها) لما كان فيهامن الجولة (قد احاط الله بها) أى قدر عليهاواستولى وأظهركم عليهاويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بهاتقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بهاوامالم تقدروا عليهافصفة الاخرى والرفع على الابتداء لكونهاموصوفة بلم تقدرواوقد أحاط الله بهاخبر المبتدا (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا (ولوقاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أومن حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبواوانهزموا (ثم لايجدون وليا) يلى أمرهم (ولانصيرا) ينصرهم (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهوقوله لأغلبن أناورسلى (التى قدخلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهوالذى كف أيديهم عنكم) أى أيدى أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ماخولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبوحنيفة رضى الله الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لاصلحا وقيل كان فى غزوة الحديبية لماروى أن عكرمة ابن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أى بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم (من بعد أن ظفركم عليهم) أى أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبوعمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى) هوما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا أن يبلغ) محبوسا أن يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على أن المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أومن الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه ذادهاه مايكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذاقتله خطأوسوء قالة المشركين انهم

فعلوا بأهل دينهم مثل مافعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير مميزين منهم فقال ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أوليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لوتزيلوا) لوتفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لوتزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولوكانوا مميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل فى (اذجعل الذين كفروا) اى قريش لعذبنا أى لعذبناهم فى ذلك الوقت أواذكر (فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هى الأنفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار مايروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل ابن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز ابن حفص على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه مانعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لونعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولاقاتلناك ولكن اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب مايريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك

و يشمئزوا منـه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أى المؤمنين (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فيجرى الامور على مصالحها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ماعاهدوا الله عليه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وغيره والله ماحلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص و بين من فى قلبه مرض و يجوز أن يكون بالحق قسما امابالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ماقال رسوله لاصحابه ونص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير فى آمنين (رؤسكم) أى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لاتخافون) حال مؤكدة (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستريح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) أى الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لاترى دينا قط الا وللاسلام دونه

العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض
كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن
وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا
تمييز أو حال (محمد) خبر مبتدا أى هو محمد أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل
رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أى أصحابه مبتدأ
والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ و رسول الله عطف بيان والذين معه
عطف على المبتدا وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون
وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم
ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا
الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن
ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من أثر
السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من
طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار
(ذلك) أى المذكور (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) وعليه وقف (ومثلهم فى
الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ
(فآزره) قواه فأزره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على
سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل
مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى
على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه
فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم
قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما
يتولد منها حتى يعجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه

تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لأن الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع مايعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك أنفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته

﴿ سورة الحجرات مدنية ﴾

(وهى ثمان عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ماوقع فى النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لايقصد مفعول النهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيى ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف إحدى تاءى تتقدموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور

دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله أي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن أن ناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله أن يتقى (يا أيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أى اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أى اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا أن يكلموه

بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ماقد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) تم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد « لهم مغفرة وأجر عظيم » جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا أخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له أو

نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فأنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من إجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الأمور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الاحر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم

مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات ورجع وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والانباء كانه قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ فتبينوا اقتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت مافيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصباله عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على مافعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ماوقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أوفارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة مابعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم

الراشدون يعني أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له أي حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافضال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله ابن رواحة والله ان بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في فأصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغي الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغي الى أمر الله (فأصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) هذا تقرير لما ألزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على أنه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولاد الزم

السائران يتناهضوا فى رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على أن البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغى (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية اذلو كانت النساء داخلة فى قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله

وماأدرى ولست اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وأن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهى والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذلا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى ان لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أوذا عاهة فى بدنه أوغير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا

أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولاتلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لاتفعلوا ماتلمزون به لان من فعل مااستحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولاتنابزوا بالألقاب) لتنابز بالألقاب التداعى بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو مايتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما مايحبه فلا بأس به * وروى أن قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضى الله الله عنه عيرت نساء النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى انها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ماسما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذى يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودى يافاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوأ فأما أهل الفسق فلنا أن

تظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا واحترز من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب (ولا تجسسوا) اى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ماظهر ودعوا ماستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ماستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة أدام كلام الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى فانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا أن تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) التواب) البليغ فى قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ماوجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المؤمنين التائبين وروى ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) أى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيأ فنزلت (ان الله عليم) بكرم القلوب وتقواها (خبير) بهمم النفوس فى هواها (قالت الأعراب) أى بعض الأعراب لان من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) أى ظاهرا وباطنا (قل) لهم يا محمد

(لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وقد دل على ان بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان ﴿ فان قلت ﴾ مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حيث لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا (وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لا يلتكم) لا يألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الأيقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على

مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وان يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدا الذي هو المؤمنون (أولئك هم الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أي بأن (أسلموا) يعني باسلامهم والمن ذكر الأيادي تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أي المنة لله عليكم (أن هداكم) بأن هداكم أو لا (للايمان إن كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ أن هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) وبالياء مكي وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب



﴿ سورة ق مكية ﴾

﴿ وهي خمس وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الكلام في (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أي كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء واقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لابد من الجزاء ثم عوّل على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على ان تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلي وحفص (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أي بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم)

ردلاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى علم ماتنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أوحافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولاتدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (ومالها من فروج) من فتوق وشقوق أى انها سليمة من العيوب لافتق فيها ولاصدع ولاخلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لولاهى لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لنبصر به ونذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (والنخل باسقات) طوالا فى السماء (لها طلع) هو كل مايطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) أى أنبتناها رزقا للعباد لأن الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أوهو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قدجف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأن أحياء الموات كاحياء الأموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطو وهم قوم

باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الأيكة) سماهم اخوانه لأن بينهم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا) عيي بالأمر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أى انالم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم فى لبس) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثانى عليه كقوله

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوى رمانى

أى رمانى بأمر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى ومايقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولاشئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان

استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيآت والرغبة في الحسنات (ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمي به من فيه (الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أي بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر وتهرب (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أي ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة (لقد كنت) أي يقال لها لقد كنت (في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أي فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى بها جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الأبصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أي ديوان عمله مجاهد شيطانه الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أي الذي وكلت به (ما لدي عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شيء ثابت لدي عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو لمالك وكان الأصل ألق ألق فناب ألقيا

عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن القين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله إلها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وفألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى لان الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ماقبلها فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ماقال له وأما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أطغانى فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لاتختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لاتختصموا (لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى لاتختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولاتلقوا بأيديكم أو معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (مايبدل القول لدى) أى لاتطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى بادخال الكفار فى النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وأنذر (يقول) نافع وأبو بكر أى يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمجيد أى انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أى هل بقى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت أو انها تستزيد

وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ماتوعدون) صفته وبالياء مكى (لكل أواب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أوابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره أدخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحس اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (أدخلوها بسلام) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرى الخلود (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) على مايشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) نخرقوا (فى البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من

محيص) مهرب من الله أو من الموت (ان فى ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذوا وانكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) أى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون فى أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاآن أو التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وأدبار حجازى وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادى المنادى) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى المنادى بالياء فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وفى الوصل مدنى وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى إسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط

الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (إنا نحن نحيي) الخلق (ونميت) أى نميتهم فى الدنيا (وإلينا المصير) أى مصيرهم (يوم تشقق) خفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور رأى مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لايتيسر مثل ذلك الامر العظيم الاعلى القادر الذى لايشغله شان عن شان (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر أى ما أنت بمسلط عليهم إنما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لانه لاينفع الا فيه والله أعلم

﴿ سورة الذاريات مكية ﴾

(وهى ستون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح واسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لاغير

لانها تنشىء السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدىء فى الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على

النار يفتنون يحرقون و يعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا) مبتدا خبره (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لأنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالأسحار هم يستغفرون) وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كانهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل (وفى أموالهم حق للسائل) لمن يسال لحاجته (والمحروم) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وفى الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيآت والأفعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيقانا على ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب

ومارکز فيها من العقول و بالألسن والنطق ومخارج الحروف ومافى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وماسوى فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وماقيل أن التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لانه يفضى الى تقديم مافى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أى المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ماترزقونه فى الدنيا وماتوعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ماتوعدون (مثل ما انكم تنطقون) بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق أى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم و يجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من الرجل فقلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها و وزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار انه

قال وفى الأرض آيات وقال فى آخر هـذه القصـة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه فى الأصل مصـدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سـلام) أى عليكم سـلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السـلام (قوم منكرون) أى أنتم قوم منكرون فعـرفونى من أنتم (فراغ الى أهـله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وان يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليـه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فأقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيـل فأخذت فى صياح وصرتها قولها ياويلتا (فصكت وجهها) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر

على ماتستبعدين (انه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى أن جبريل قال لها حين استبعدت أنظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم أنهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا في بعض الأمور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وماطلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أولأمر آخر أولهما (قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين أى لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم (فأخرجنا من كان فيها) في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعنى لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الأليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وفي موسى) معطوف على وفي الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها من أنشاء مطر أو القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف

فيها والاظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا الأهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أى هرب أو هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بأيد) بقوة والايدى القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق أو الموسعون ما بين السماء والأرض (والأرض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الأرض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن رضى الله عنه السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لامثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر

ما أجمل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا اعنادا (فما أنت بملوم) فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة و بذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بأن تزيد فى عملهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والأنس الا من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لأنه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الأبد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب أن يطعموا عبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد القوة

والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب للنضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدونى أن يطعمون فلا يستعجلون بالياء فى الحالين يعقوب وافقه سهل فى الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

﴿ سورة الطور مكية ﴾

(وهى تسع وأربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (فى رق) هو الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه (منشور) مفتوح لاختم عليه أولانه (والبيت المعمور) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أواذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افسحر هذا يريد أهذا المصدق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص

فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعتهم) واتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) أى تلحق الاولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تلقينا فهم يلحقون بالآباء ذريتهم ذرياتهم مدنى ذريتهم ذرياتهم أبو عمرو وذرياتهم ذرياتهم شامى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألتناهم مكى الت يالت والت يالت لغتان من الاولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشارب خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكى وبصرى (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) فى الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة فى الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هى

الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب انه بالفتح مدني وعلى أي بأنه أولانه (فذكر) فأثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمة ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أي ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الأمر الى الاحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أي ليس الأمر كما زعموا (لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) في أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لأنه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لاشيء من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأمرون (أم خلقوا السموات والأرض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون) أي لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المصيطرون) الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية

و يبنوا الأمور على مشيئتهم و بالسين مكى وشامى (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسئلهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم و يحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم إله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أى جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم و بما يلحقك فيه من المشقة (فانك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عينى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة

وهو مايقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أومن أي مكان قمت أومن منامك
(ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وادبار زيد
أي في أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده
في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين
وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق

﴿ سورة النجم ﴾

(اثنتان وستون آية مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم
القيامة وجواب القسم (ما ضل) عن قصد الحق (صاحبكم) أي محمد صلى عليه
وسلم والخطاب لقريش (وما غوى) في اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهوى
والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال
والغي (وما ينطق عن الهوى) (ان هو الا وحي يوحى) وما آتاكم به من القرآن ليس
بمنطق يصدر عن هواه وأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من
لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد
وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد
القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
وهو جبرئيل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا

جائين (ذومرة) ذومنظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو أفق الشمس فلأ الأفق وقيل ماراه أحد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالأفق الاعلى) مطلع الشمس (ثم دنا) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لاصلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا ومافيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لايلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ماراه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ماقال فؤاده لما راه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ماراه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه وتعالى راه بعين رأسه وقيل بقلبه (أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه أفتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لاتصح

الاعلى مذهب التضمين (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش الذهب (مازاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها (وماطغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة) أى أخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية

والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم و يزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذلا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز حكى من ضازه مثل ضازه (ان هى) ما الاصنام « الأسماء » ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شىء منها وأشد منافاة لها (سميتموها) أى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد « أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » حجة « ان يتبعون الا الظن » الا توهم ان ما هم عليه حق « وما تهوى الانفس » وما تشتهيه أنفسهم « ولقد جاءهم من ربهم الهدى » الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى » هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان يعنى الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام أو من قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل وهو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى « فلله الآخرة والاولى » اى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له و يرضاه و يراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (ومالهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشىء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) فأعرض عمن

رأيته معرضاعن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوّى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسيء منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) أى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى أى النوع الكبير منه (والفواحش) ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما أوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (الا اللمم) أى الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة (ان ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم) أى أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذى تولى) أعرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد

الايمان وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره
بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم في النار قال اني خشيت
عذاب الله فضمن له ان هو أعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه
عذاب الله ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه (أعنده
علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما
في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) أي
وفر وأتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ مخففا والتشديد
مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد
أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار وقال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة
الضحى وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح واذا
أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي
ثلاثون عشر في التوبة التائبون وعشرة في الأحزاب ان المسلمين وعشرة في
المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة
وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من
الثقيلة والمعنى إنه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا مما في
صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر وكان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم
فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا يحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان
الا ما سعى) أي سعيه وهذا أيضا مما في صحف ابرهيم وموسى وأما ما صح في الاخبار
من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي
نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما
بقيامه ولان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع
كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وان سعيه سوف يرى) أي يرى سعيه هو يوم
القيامة في ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله

بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه (وإن الى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الأولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير (وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات وأحيي) قيل أمات الآباء وأحيا الابناء أو أمات بالكفر وأحيا بالايمان أو أمات هنا وأحيا ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى المال تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله انه رب معبودهم هذا (وأنه أهلك عادا الاولى) هم قوم لوط وهود وعاد الاخرى ارم عادلولى مدنى و بصرى غير سهل بادغام التنوين في اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما أبقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمودا فما أبقاهم (وقوم نوح) أي وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك (أهوى) أي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أي أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك أي بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم أو بأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) أي محمد منذر (من النذر الأولى) من المنذرين

الأولين وقال الاولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى أى انذار من جنس الانذارات الاولى التى أنذر بهسا من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لهانفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو أوليس لهانفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الى الله تعالى غير أنه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأنتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) أى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم

﴿ سورة القمر مكية ﴾

﴿ وهى خمس وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه لا يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم (وان يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوى من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول

ولا يبقى (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم
الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن فى
وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سيثبت
و يستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الأنباء) من
القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار
(ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أى منعته وأصله
ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا لان التاء حرف مهموس
والزاى حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا فى آخر
كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو
بالغة من الله اليهم (فما تغنى النذر) ما نفى والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به
أو النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم نصب
(يوم يدع الداع) بيخرجون أو باضمار اذكر الداعى الى الداعى سهل و يعقوب
ومكى فيهما وافق مدنى وأبو عمرو فى الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة
عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لمتابعة اللفظ والداعى اسرافيل عليه
السلام (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول
يوم القيامة نكر بالتخفيف مكى (خاشعا أبصارهم) عراقى غير عاصم وهو حال من
الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على
يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث و يجوز أن يكون فى خشعا
ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل
وعزة العزيز تظهران فى عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم
جراد منتشر) فى كثرتهم وتفرقهم فى كل جهة والجراد مثل فى الكثرة والتموج
يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع)
مسرعين مادى أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد
(كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى

تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أى هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه أنى) أى بأنى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كانها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أى مياه السماء والارض وقرئ الما آن أى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قيصى مسرودة من حديد أراد ولكن قيصى درع ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا أو بأعيننا حال من الضمير فى تجرى أو محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء

أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأدغمت الذال في الدال (فكيف كان عذابي ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للاذكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان في أربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بأيد بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهي أصول بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال كأنها أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكونوا من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا

من أفنائهم وليس من أشرافهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أوهو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات (إنا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أوحال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بعونهم (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعنى على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أى انعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) أى لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب

(فمار وابالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضي بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء أوهو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) أم أنزلت اليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أي الأدبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم تعفوا أي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد

من المرة (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة أو فى هلاك ونيران (يوم يسحبون فى النار) يجرون فيها على وجوههم و يقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (إنا كل شىء خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لأمكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا للشىء ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شىء مخلوق لنا كائن بقدر و يحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شىء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شىء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شىء وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشىء لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شىء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف أنها نزلت فى القدرية (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أى وما أمرنا الشىء نريد تكوينه الا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شىء فعلوه) أى أولئك الكفار أى وكل شىء مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت لشىء وفى الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) وأنهارا كتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى (عند مليك) عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن

لاشيء الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير

﴿ سورة الرحمن جل وعلا مكية ﴾

(وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أول شيء ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ماخلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ماميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم من الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان

الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الأول ثم جئ به بعد لأن الأول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف و بيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والأرض لاتزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة ومسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا فى الميزان) لئلا تطغوا أوهى أن المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء و زيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيهما ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلى أى

والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع
على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان
الذى يشم والحب ذا العصف والريحان شامى أى وخلق الحب والريحان أو وأخص
الحب والريحان (فبأى آلاء) أى النعم مما عدد من أول السورة جمع ألى وإلى (ربكما
تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الأنام عليهما (خلق الانسان من صلصال) طين
يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ النار وهو الخزف ولا اختلاف
فى هذا وفى قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقهما معنى لأنه يفيد أنه
خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن قيل
هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد
النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كأنه قيل من
صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فأنذرتكم نارا تلظى
(فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقى الشمس فى
الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أى
أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين فى مرأى
العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما
ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) يخرج
مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلاهمز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان)
صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد
جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر
ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل
لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار)
السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها
بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء
(المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين يحيى حمزة ويحيى الرافعات

الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات مايتعلق بدينهم وأهل الارض مايتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى أخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها الى قوله فأصبح من النادمين وقد صح

أن الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمة وقيل أن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الا ماسعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أى ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائى فاخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أى دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الأحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان)

كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أى ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم و يراد ولده والتقدير لا يسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية و بين قوله فو ربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى مواطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم و زرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالأقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار و بين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله و رحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو فأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لأن الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنن وخص افنان لانها هى التى تورق وتثمر فنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الاعين قال · ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر *

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الأعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال أحدهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو

حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها الا الله (وجنى الجنتين دان) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) أى الجنتين لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ (فبأى آلاء تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعوتين للقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أى خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على

رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خضر وعبقري حسان) ديباج أو طنافس (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكا (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذوالجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روي جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالي أرى كم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم رداما أتيت على قول الله فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم



﴿ سورة الواقعة مكية ﴾

﴿ وهي سبع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر (ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) أي هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الازواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجيب من حالهم في السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ماهم وأي شيء هم (وأصحاب المشأمة) أي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السيئة وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان مني باليمين

وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين و بأهل النار ذات الشمال (ما أصحاب المشأمة) أى أى شىء هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره تقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا (يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكاس (من معين) من خمر تجرى من العيون (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى أى لا ينفد شرابهم يقال أنزف القوم اذا فنى شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أى وفيها حور عين

أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور ريز يد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور (كأمثال اللؤلؤ) في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أي يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أو مفعول به لقيلا أي لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد أي تجري على الارض في غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أي كثيرة الأجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما أن يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن أو اللاتي أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عربا) عربا حمزة وخلف ويحيي وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام في (لأصحاب اليمين) صلة أنشأنا (ثلة) من

أصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) ﴿فان قلت﴾ كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين ﴿قلت﴾ ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الامة (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناهي الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود (لا بارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) اى على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذا والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أوآباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي أو آباؤنا مدني وشامي (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى

وذ كره على اللفظ فى منها وعليه (فشار بون شرب) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل و بفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هى إبل عطاش لا تروى جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وأنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذى يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرأيتم ما تمنون) ما تمنونه أى تقذفونه فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى أن ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها «ولقد علمتم النشأة الاولى» النشأة مكى وأبو عمرو «فلولا تذكرون» أن من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى

«أفرأيتم ما تحرثون» ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر «أأنتم تزرعونه» تنبتونه وتردونه نباتا «أم نحن الزارعون» المنبتون وفى الحديث لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت «لو نشاء لجعلناه حطاما» هشيما متكسرا قبل ادراكه «فظلتم تفكهون» تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها (انا) اى تقولون انا أئنا أبو بكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محاربون محدودون لا مجدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا «أفرأيتم الماء الذى تشربون» أى الماء العذب الصالح للشرب «أأنتم أنزلتموه من المزن» السحاب الابيض وهو أعذب ماء «أم نحن المنزلون» بقدرتنا «لو نشاء جعلناه أجاجا» ملحا أو مرا لا يقدر على شربه «فلولا تشكرون» فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالالى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الأول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة «أأنتم أنشأتم شجرتها» التى منها الزناد «أم نحن المنشؤن» الخالقون لها ابتداء «نحن جعلناها» اى النار «تذكرة»

تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها و يذكرون ما أوعدوا به «ومتاعا» ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر أوللذين خلت بطونهم أومزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به و يشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار لحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلا أقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها ان تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر الليل إذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضى أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته فى (كتاب) أى اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن أن يأتيه الباطل او من غير المقربين الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس أدناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أى منزل (من رب العالمين) أو وصف بالمصدر لانه

نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدا (أفبهذا الحديث) أى القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى بعض الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر أى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى النجوم (فلولا اذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتخصيص يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل عليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فمالكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم وأما ان كان

من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما (وأما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السورة الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة والله أعلم

﴿ سورة الحديد مكية ﴾

(وهى تسع وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله) جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع المصدر والماضى والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة

و بنفسه أخرى فى قوله تسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب و بعد فاللام اما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له وأما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما فى السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) فى مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع (يحيي) رفع أى هو يحيي الموتى (و يميت) الاحياء أو نصب أى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الآخريين فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه (وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما و بالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بأن ينقص من الليل ويزيد فى النهار (و يولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى أن الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها

وأعاموالكم لياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وأنفقوا لهم أجر كبير. ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي ومالكم كافرين بالله والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذي ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله تعالى أو محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازي وشامي وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من

الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى أى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فيضاعفه له) أى يعطيه أجره على انفاقه أضعافا مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان

(فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) أى النور أو الجنة (وظاهره) ماظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة أو النار (ينادونهم) أى ينادى المنافقون المؤمن (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لايعذبكم أو بأنه لابعث ولاحساب (فاليوم لايؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) أيها المنافقون (فدية) مايفتدى به (ولامن الذين كفروا مأواكم النار) مرجعكم (هى مولاكم) هى أولى بكم وحقيقته مولاكم محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه أى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الأربع سنين وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل ومابمعنى الذى والمراد بالذكر ومانزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعدان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم

فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقليل منهم مؤمنون (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكي وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فأدغمت التاء في الصاد وقرئ على الاصل (وأقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو أصدقوا كأنه قيل ان الذين أصدقوا وأقرضوا والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكي وشامي (ولهم أجر كريم) أي الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (في الاموال والاولاد) أي مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوي وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على

جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على أنه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يامعشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لا تكون فى عرض السموات والارض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر أى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى الا مكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الانفس (ان ذلك) أى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم علل

ذلك و بين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم أن كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه و يحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لا يحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدا محذوف أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد ان الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله و يبخلون به (و يأمرون الناس بالبخل) و يحضون غيرهم على البخل و يرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى أفعاله فان الله الغنى بترك هو مدنى وشامى (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به

(ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما أبوان للانبياء عليهم السلام «وجعلنا فى ذريتهما» أولادهما «النبوة والكتاب» الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة «فمنهم» فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) أى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا

ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي أهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد عليه السلام (وكثير منهم فاسقون) الكافرون (يا أيها الذين آمنوا) الخطاب لأهل الكتاب (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) ان مخففة من الثقيلة أصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون (على شئ من فضل الله) أي لا ينالون شيأ مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وأن الفضل) عطف على أن لا يقدرون (بيد الله) أي في ملكه وتصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) والله أعلم

﴿ سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ وهي اثنان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله قول التي تجادلك) تحاورك وقرئ بها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا

تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلاسني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ماعندي في أمرك شيء وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت يارسول الله ماذكر طلاقا وانما هو أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (وتشتكي الى الله) تظهر مابها من المكروه (والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام من حوراذارجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظاهرون وفي (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من ايمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من نسائهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم المفضل والاول حجازي والثاني تميمي (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فأبعد شيء من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) أي تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين في الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثاني وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفي واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أي يعودون لنقض ماقالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ماحرموا على حذف المضاف أيضا غير انه أراد بما قالوا ماحرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه مايقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا أن النقض بماذا

يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعي بمجرد الامساك وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار (فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيأ (من قبل أن يتماسا) الضمير يرجع الى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى واذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختى من الرضاع أو عمتى من النسب أو امرأة ابنى أو أبى أو أم امرأتى أو ابنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وان يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رضى الله عنه (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع فى خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) أى لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) أى الاحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا واهلكوا (كما

كبت الذين من قبلهم) من أعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة أى ما يقع «من نجوى ثلاثة» النجوى التناجي وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر «الا هو» أى الله «رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى» ولا أقل «من ذلك ولا أكثر الا هو معهم» يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عددهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التناجي في العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد «أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة» فيجازيهم عليه «ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة وهو بمعنى الأول (واذا

جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى و يا أيها الرسول و يا أيها النبي (و يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال أي يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم (يا أيها الذين آمنوا) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا باليهود والمنافقين في تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) بأداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصي (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أي الشيطان وبضم الياء نافع (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يكلون أمرهم الى الله و يستعيذون به من الشيطان (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) توسعوا فيه في المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة فافسحوا فوسعوا (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر و غير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفي الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن

النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب * وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة * وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الزبير العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها معلوما (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) أى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم

تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فان لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) يامسلمون (ولامنهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب أى يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقا (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية مايقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله فى الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك ويحسبون أنهم فى الدنيا (على شئ) من النفع أو يحسبون أنهم على شئ من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (الا أنهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل

لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم « كتب الله » فى اللوح « لأغلبن أنا ورسلى » بالحجة والسيف أو بأحدهما (ان الله قوى لا يمتنع عليه ما يريد « عزيز » غالب غير مغلوب « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون » هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أى من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها ومقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

﴿ سورة الحشر مدنية ﴾

(وهى أربع وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها فى بنى النضير وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبى الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى أريحاء وأذرعات (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام فى (لأول الحشر) تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقوله جئته لوقت كذا أى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر ان هذا أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام أو هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام او آخر حشرهم حشر يوم القيامة * قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما خرجوا امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الأثر * قتادة اذا كان آخر الزمان
جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة
وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة
عددهم وعدتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم
من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه ان فى تقديم الخبر
على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعتها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان
واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد
يتعرض لهم أو يطمع فى معازاتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم
(فأتاهم الله) اى أمر الله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك (من حيث
لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم
بأيديهم وأيدى المؤمنين) يخربون أبو عمرو والتخريب والاخراب الافساد
بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما
أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم
الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا
بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد
الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وأن يتسع لهم
مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد
لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا أولى
الابصار) أى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا أن
تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن
كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم فى الدنيا)
بالقتل والسبي كما فعل ببنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (فى الآخرة عذاب

النار) الذي لا أشد منه (ذلك بأنهم) أي اعما أصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل مانصب بقطعتم كأنه قيل أى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى مافى قوله (أو تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان و ياؤها عن واو قلبت لكسرة ماقبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله (وليخزى الفاسقين وليذل اليهود و يغيظهم أذن فى قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأله خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى أن ماخول الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى مافى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للأولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مايصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة مايدول للانسان أى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون

الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكم من قسمة غنيمة أوفيء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود أن يكون عاما في كل ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من لله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكة وفيه دليل على أن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون) في ايمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الأنصار (تبوّؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوّئ دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن أحدهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين ولا يجدون في (صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج اليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء

منه محتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفئ حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافات (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم روى انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد الى الأول أبو يزيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والأنصار عائشة رضى الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة رضى الله عنهم (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فى عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (ألم تر الى الذين نافقوا) أى ألم تر يا محمد الى عبد الله ابن أبى وأشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير والمراد اخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن أبى وأصحابه دسوا الى بنى النضير حين حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم

(ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو فى خذلانكم واخلاف ماوعدنا كم من النصرة (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرنهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بأنهم لاينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم مالايكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لاينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أولينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية مصدر رهب المبنى للمفعول وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون) لايعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لايقاتلونكم) لايقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين فى قرى محصنة بالخنادق والدروب (أومن وراء جدر) جدار مكى وأبو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لايعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قريبا) أى استقر من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كمثل

الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين) أى مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برئ منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان (أنهما فى النار خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان فقدم وأن مع اسمها وخبرها أى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى أوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة « ماقدمت لغد » يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره أى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ماقدمنا خسرنا ماخلفنا «واتقوا الله» كرر الأمر بالتقوى تأكيدا أو اتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله «ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على مايرتكب من الذنوب يمتنع عنه «ولا تكونوا كالذين نسوا الله» تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به «فأنساهم أنفسهم» فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق « أولئك هم الفاسقون » الخارجون عن طاعة الله « لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » هذا تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم

لايقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبناعن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » أى من شأن القرآن وعظمته انه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدع أى تشقق من خشية الله وجائز أن يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الأمانة ويدل عليه قوله « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وهى اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال « هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة » أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الأمن وعن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الأمن الا أن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الأرحام (له الأسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على

﴿ سورة الممتحنة مدنية ﴾

﴿ وهي ثلاث عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روي أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وان

كتابي لايغني عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على أن الكبيرة لاتسلب اسم الايمان (تلقون) حال من الضمير في لاتتخذوا والتقدير لاتتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالمودة) أومستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة أوثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لاتتخذوا أومن تلقون أى لاتتولوهم أوتوادونهم وهذه حالهم (بماجاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أوحال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أى يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلاتتخذوا أى لاتتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جهادا في سبيلي) مصدر في موضع الحال أى ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي (وابتغاء مرضاتي) ومبتغين مرضاتي (تسرون اليهم بالمودة) اى تفضون اليهم بمودتكم سرا أوتسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أى طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وانا مطلع رسولي على ماتسرون (ومن يفعله) أى هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) أى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء)

بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضي وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن يقصد أهم شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم (قد كانت لكم أسوة) قدوة فى التبرؤ من الأهل (حسنة فى ابراهيم) أى فى أقواله ولهذا استثنى منها الاقول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لابيه الكافر (وما أملك لك من الله من شئ) أى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لاتليق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال أستغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه (واليك أنبنا) أقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أى

الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)
ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا
جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو
الله أي ثوابه أي يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال
الكفار (فإن الله هو الغني) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من
التأكيد إلا جاء به ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم
وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال إلى خلافه فقال (عسى الله
أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من أهل مكة من أقربائكم (مودة) بأن
يوفقهم للإيمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب
وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل
فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به إطماع المؤمنين (والله قدير) على
تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم)
لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر
على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا
إليهم) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وإذا نهى عن الظلم في حق المشرك
فكيف في حق المسلم (إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) هو بدل من
الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء (ومن
يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يا أيها
الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة
أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال
(فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن
وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

(الله أعلم بإيمانهن) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) أي لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيانا ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن لان المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على أن لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصري (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسئلوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذلكم حكم الله) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (والله عليم حكيم وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) وإن انفلت أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أحد (فعاقبتم) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل

ماأنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور
زوجاتهم من هذه الغنيمة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم
منسوخ أيضا (ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لايشركن
بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولايأتين
ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه
بزوجها كذبا لأن بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين
(ولا يعصينك فى معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن واستغفر لهن الله) عما
مضى (إن الله غفور) بتمحيق ماسلف (رحيم) بتوفيق ماائتنف وروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء
وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت
عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على أن لاتشركن بالله شيأ
فبايع عمر النساء على ان لايشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن
فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان
ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال
لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يانبي الله قال عفا الله عنك فقال ولا يزنين
فقالت أوتزنى الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم
كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر
قبيح وماتأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت
والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ وهو يشير الى أن طاعة
الولاة لاتجب فى المنكر (ياأيها الذين آمنوا الاتتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم
السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم

ينكرون البعث (كما يئس الكفار) أى كما يئسوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة أى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أى لاتتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم

﴿ سورة الصف مدنية ﴾

﴿ وهى أربع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الأعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لأن ما واللام أو غيرها كشئ واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ماقام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) قصد فى كبر

التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض * وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أتأمرونني أن أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني) بجحود الآيات والقذف بما ليس فى (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى تؤذونني عالمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضيته علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا ان تؤذوني (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) أى أرسلت اليكم فى حال تصديق ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدى حجازى وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسل من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين) وأى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على

لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) هذا تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفؤا نور الله بأفواههم أى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص متم نوره غيرهم أى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن فى الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامى (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جىء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم) أى ماذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) أى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفى تحبونها شىء من التوبيخ على محبة العاجل

وقال صاحب الكشاف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (و بشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الأمر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم و بشر يارسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار) أى أنصار دينه أنصار الله حجازى وأبو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقوله عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة) به (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فأصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم

﴿ سورة الجمعة مدنية ﴾

﴿ وهى احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح اما أن يكون تسبيح خلقة يعنى اذ نظرت الى كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الاشباه أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كل شئ مايعرف

به الله تعالى و ينزهه ألا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذى بعث) أرسل (فى الاميين رسولا منهم) أى بعث رجلا أميا فى قوم أميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه وأحواله والامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار (يتلوا عليهم آياته) القرآن و يزكيهم و يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (و يعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة أو الفقه فى الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم أوهم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب فى و يعلمهم أى يعلمهم و يعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير و يحمل فى محل النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا

كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما مر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها لأوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تأخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لأذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي (الى ذكر الله) أي الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير (ذلكم) أي السعي الى

ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون فاذا قضيتم الصلاة) أى أديت (فانتشروا فى الارض) أمر إباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ما وفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت أهم عندهم روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فابقى معه الا ثمانية أو اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على أن الخطيب ينبغى أن يخطب قائما (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم

﴿ سورة المنافقين مدنيه ﴾

(وهى احدى عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم انك لرسوله) أى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو

انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (بأنهم) بسبب انهم (آمنوا ثم كفروا) أو الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أي ذلك كله بسبب انهم آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الايمان والخطاب في (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لرسول الله أو لكل من يخاطب (وأن يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين في مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويستمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له (مسندة) في الحائط شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لأن الخشب اذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع أو لانهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام خشب أبو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثاني عليهم وتم

الـكلام أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعني اذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال « هم العدو » أي هم الـكاملون في العداوة لان أعدى الاعـداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى « فاحذرهم » ولا تغترر بظاهرهم « قاتلهم الله » دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك « أنى يؤفكون » كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لـكم رسول الله لووا رؤسهم » عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع « ورأيتهم يصدون » يعرضون « وهم مستكبرون » عن الاعتذار والاستغفار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهني حليف لابن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمد الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأ كلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجر فأمر به أنصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الـكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الـكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لـكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا

لانصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قدوهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت ومابقى لى الاأن أسجد لمحمد فنزل واذاقيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الاأياما حتى اشتكى ومات (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) أى ماداموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لايلتفتون اليه ولايعتدون به لكفرهم أولان الله لايغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه (ان الله لايهدى القوم الفاسقين هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) أى وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لايفقهون) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لايفقهون ذلك فيهذون بمايزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة) أى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن أعزه الله وأيده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين * وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لايعلمون ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم) لاتشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولاأولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أى عن الصلوات الخمس أوعن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن اصلاح معاده (فأولئك هم

الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى من قبل أن يرى دلائل الموت و يعاين ما ييأس معه من الأمهال و يتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) فأتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد و يحيى والمعنى أنكم اذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم بأعمالكم فجازعليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب

﴿ سورة التغابن ﴾

(ثمانى عشرة آية هى مدنية أو مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى فمنكم آت

بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والأكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن أحسن صورته أن خلقه منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن

الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم و يتعدى تعدى العلم (ألن يبعثوا) ان مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد لن وهو البعث (وربى لتبعثن) أكد الأخبار باليمين ﴿ فان قلت ﴾ ما معنى اليمين على شئ أنكروه ﴿ قلت ﴾ هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير هين) (فآمنوا بالله و رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء و نزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته و يدخله) و بالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شئ يقتضى هما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم)

عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى عليه التبليغ وقد فعل (الله لا إله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أى ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والأولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أى فى الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما فى العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لأنفسكم) أى انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفا فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة

(ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطي الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أي ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز بإظهار السيوب (الحكيم) في الإخبار عن الغيوب والله أعلم

﴿ سورة الطلاق مدنية ﴾

﴿ وهي اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبار الترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضي

عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا أثر له فى رفع الحظر (ولا يخرجن) بأنفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنا أى الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه (وتلك حدود الله) أى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى) أيها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بأن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها أو من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أى فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه

لايخطر بباله ولايحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به أى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم انى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر إبنى وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الامد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله أمرنى واياك أن نستكثر من قول لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبيناهو فى بيته اذقرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين (ان الله بالغ أمره) حفص منفذ أمره غيره بالغ أمره أى يبلغ مايريد لايفوته مراد ولايعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الابتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) أى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أى فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة أو بخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها

أبعد الاجلين (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله اليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) فى العمل بما أنزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هى من التبعيضية مبعضها محذوف أى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) أى المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما طولت فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن فى ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن خلافا للشافعى رحمه الله (وأتمروا بينكم) أى تشاوروا على التراضى فى الأجرة أو ليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يماكس الأب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفى وجوب

الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الأب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاقبة الأم على المعاسرة وقوله له أى للأب أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وكأين من قرية) من أهل قرية (عتت) أى عصت (عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) مدنى وأبو بكر منكرا عظيما (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) أى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجئ به على لفظ الماضى لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) أى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا أو بدل من ذكرا كأنه فى نفسه ذكر أو على تقدير حذف المضاف أى قد أنزل الله اليكم ذا ذكر رسولا أو أريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يتلوا) أى الرسول أو الله عز وجل (عليكم

آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ليحصل لهم ماهم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل الى نور الايمان أو العلم (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله) و بالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) وحد و جمع حملا على لفظ من و معناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (ومن الأرض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الأرضين سبع الا هذه الآية و بين كل سماء ين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الأرض واحدة الا أن الأقاليم سبعة (يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الأول أى قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

﴿ سورة التحريم مدنية ﴾

﴿ وهى اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد

حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروى أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما أحل وحرم (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته الى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أي أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت

نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر الى عائشة (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأني العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من بريء من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما للنصرة بهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) يبدله مدني وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب أو راجعات الى الله والى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات أو صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى أن يجيء وقت افطاره (ثيبات وأبكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر

الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الاقوال شداد الافعال (لا يعصون الله) في موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي ما أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد إذ معنى الاولى انهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (ياأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خرقك في دينك وترم خللك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيي وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا أن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى أن يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع بالاركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) في موضع الخبر (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا)

يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا إنك على كل شئ قدير يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أي عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هي آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (إذ قالت) وهي تعذب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكأنها أرادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجني من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أي بصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعني الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من

أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه واشارة الى أن من حقهما أن يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الملك مكية ﴾

﴿ وهي ثلاثون آية ﴾

(وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي قارئها من عذاب القبر)

(وجاء مرفوعا من قرأها في ليلة أكثر وأطيب)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) أي بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذي خلق الموت) خبر مبتدا محذوف أو بدل من الذي قبله (والحياة) أي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم

بأمره ونهيه فما بين الموت الذي يعم الأمير والأسير والحياة التي لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أي أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد انه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذي لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في (ماترى في خلق الرحمن) للرسول أو لكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلي ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أي من اختلاف واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) ردده الى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أي كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ودققه هل ترى خللا أو عيبا وجواب الأمر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير)

كليل معى ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أى السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح أى بأى مصابيح لاتوازيها مصابيحكم إضاءة (وجعلناها رجوما للشياطين) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به مايرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يخبله لان الكواكب لاتزول عن أماكنها لانها قارة فى الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا ألقوا فيها) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأنه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه (فكذبنا) أى فكذبناهم (وقلنا مانزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى قال الكفار للنذرين ما أنتم الا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا الانذار أوجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على

ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أوسموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أى الجنة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ظاهره الامر بأحد الأمرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما * روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته أنه اللطيف أى العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا النفي خلق الأفعال (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها أو طرقها (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (واليه النشور) أى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من في السماء) أى من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه اولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة

والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض) كما خسف بقارون (فاذا هى تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا أن يخسف (فستعلمون كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم اذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أى يصففن ويقبضن أو صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والأصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (إن الكافرون الا فى غرور) أى ما هم الا فى غرور (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أم من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما

ليتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم تبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشي مكبا على وجهه) أى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفا وخبر من (أهدى) أرشد وأكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أمن يمشي سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبي يعنى بالمكب أبا جهل وبالسوى النبي عليه السلام (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذا النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فاعلمونا زمانه (قل انما العلم) أى علم وقت العذاب (عند الله وانما أنا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم الشرائع (فلما رأوه) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا أو هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم إن أهلكني الله) أى أماتني الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابى (أو رحمنا) أو أخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم . كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه

(قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لاتناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينيه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

﴿ سورة ن مكية ﴾

﴿ وهى اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ن) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكوت دليل على انه من حروف المعجم (والقلم) أى ما كتب به اللوح أو قلم الملائكة أو الذى يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أى ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فأنت اسم ما وخبره (بمجنون) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون

منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي
وهو جواب يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك
والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وإنك
لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أي ما فيه
من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما
(فستبصر ويبصرون) أي عن قريب ترى ويرون وهذا وعدله ووعيد لهم
(بأيكم المفتون) المجنون لانه فتن أي محن بالجنون والباء مزيدة أو المفتون مصدر
كالمعقول أي بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى في تقول كنت ببلد كذا أي
في بلد كذا وتقديره في أيكم المفتون أي في أي الفريقين منكم المجنون فريق
الاسلام أو فريق الكفر (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي هو أعلم بالمجانين
على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بالعقلاء وهم
المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوا أن يعبدوا
الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون)
فيلينون لك ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمني لانه عدل به الى طريق آخر
وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف أي فهم يدهنون أي فهم الآن يدهنون لطمعهم
في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة
لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة
أو كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال
للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية
(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد
ابن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدي (معتد)
مجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله
من المثالب (زنيم) دعي وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد

ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى أنه دخل على أمه وقال إن محمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا في فأما الزنيم فلا علم لي به فان أخبرتني بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فأنت من ذلك الراعي (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع أي ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده أي لان كان ذا مال (وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الأولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حمزة وأبو بكر أي لان كان ذا مال كذب ان شامي ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزي المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الأنف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (إذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من

حيث ان معنى قولك لأخرجن ان شاء الله لا أخرج الا أن يشاء الله (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) أى كالليل المظلم أى احترقت فاسودت أو كالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدو معنى الاقبال أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين أى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فلما رأوها) أى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (إنا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه

عن أن يكون ظالما (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (إنا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (إن للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كان أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (إن لكم فيه لما تخيرون) أى ان ماتختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ماتخيرون بفتح أن لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت أيمان ويتعلق (الى يوم القيامة) ببالغة أى انها تبلغ ذلك وتنتهى اليه وافرة لم تبطل عنها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم أو بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون (إن لكم

لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا
لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) أى المشركين (أيهم بذلك) الحكم
(زعيم) كفيل بأنه يكون ذلك (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول
و يذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان
أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به
عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف
فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة
الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر و يصعب ولا
كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن
الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن
البخل وأما من شبه فلضيق عطفه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الأمر كما
زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعرف لانها ساق معهودة عنده
(و يدعون) أى الكفار ثمة (الى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم
السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى
عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أبصارهم) أى
يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون)
على ألسن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحاء فلا
يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرنى) يقال ذرنى واياه أى كله الى فانى
أكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث)
بالقرآن والمراد كل أمره الى وخل بينى و بينه فانى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق
له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال
استدرجه الى كذا أى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله
تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى

(من حيث لا يعلمون) من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله كايدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان أمهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أى لولا أن الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الأول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء مدنى ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أى قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بابصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع

ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا المجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

﴿ سورة الحاقة مكية ﴾

﴿ وهي احدى وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أي وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أي حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لادري (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحاقة فوضعت

القارعة موضعها الانها من أسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) أى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أى متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم من قبله بصرى وعلى أى ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهى ائتفكت أى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو بالافعال ذات الخطأ العظيم (فعصوا) أى قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (انا لما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) أى آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أى الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى أذن عقلت عن الله

واتفعت بما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الأولى و يموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب اذا وقعت و يومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أصناف (يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فأما) تفصيل للعرض (من أوتى كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل أى خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الأول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الأقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (انى ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (انى ملاق حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضيه) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فى جنة عالية) رفيعة المكان

أورفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيأ لا مكروه فيهما ولا أذى أو هنئتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى فى الصائمين أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فانفى والمفعول محذوف أى شيأ (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى أجمعوا يده الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينته له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل

المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر لقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الأجسام والارض والسماء (ومالا تبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل أنه أقسم بجميع الاشياء (انه) أى ان القرآن (لقول رسول كريم) أى محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أى لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولو ادعى علينا شيأ لم نقله (لأخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فمنكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين)

وان كان وصف أحد لانه فى معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله (وانه)وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم)فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله

﴿ سورة المعارج مكية ﴾

﴿ وهى أربع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أوهو النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسأل بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال أيضا الا انه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب أى بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذى المعارج) أى مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد و بعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على

الملائكة كما ان الملائكة حفظة علينا أو ارواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (فى يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار أو لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا لكل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجمى بضم الياء أى لا يسئل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم أو مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهو ضمير الحميم الثانى أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين

(التى تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد (ومن فى الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان أو على هى نزاعة (للشوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعو) بأسمائهم يا كافر يا منافق الى الى أو تهلك من قولهم دعاك الله أى أهلكك أو لما كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا على الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى أو المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلواتهم) أى صلواتهم الخمس (دائمون) أى يحافظون عليها فى مواقيتها عن ابن مسعود رضى الله عنه (والذين فى أموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبى عمرو أى لا ينبغى لاحد وان بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف

والرجاء (والذينهم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم) نسائهم (أو ماملكت أيمانهم) أى امائهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا وراء ذلك «أى غير الزوجات والمملوكات «فأولئك هم العادون» المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعه ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لأمانتهم مكى وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) أى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ماتدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهادتهم) حفص وبالالف سهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهار اللصلابة فى الدين ورغبة فى احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلاتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان انها أهم أو لان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) أى من النطفة المذرة ولذلك أبهم اشعارا بأنه منصب يستحى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن

الجنة قبلهم أو معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة الا بالايمان فلم يطمع أن يدخلها من لا ايمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال أي الى الداعي (كأنهم) حال (الى نصب) شامي وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون أي ذليلة (أبصارهم) يعني لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا وهم يكذبون به

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية ﴾

﴿ وهي ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(إنا أرسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه أن أنذر) خوف أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب أو ان مفسرة بمعنى أي لان في الارسال معنى القول (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال يا قوم) أضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (إني لكم

نذير) مخوف (مبين) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو أن أنذر في الوجهين (واتقوه) واحذروا غضبه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه وانما أضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان أو للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره وكذا في شرح التأويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان أجل الله) أي الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أي لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي تبلغوا ألف سنة ثم أخبر أن الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام أمنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أي انكم ان أسلمتم بقيتم الى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) دائبا بلا فتور (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار في الحقيقة وهو كقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان أبي قد وصاني به (واني كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) أي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصابعهم في آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتي وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم اني دعوتهم جهارا) مصدر في موضع الحال أي مجاهرا أو مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان

الجهار أحد نوعي الدعاء يعني أظهرت لهم الدعوة في المحافل (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفار الذنوب من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أو لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال أي ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لأنه خلقكم

أطوارا أى تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر فى أنفسهم لأنها أقرب ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) أنشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت ويخرجكم يوم القيامة (اخراجا) أكد بالمصدر أى أى اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة (قال نوح رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أى الرؤساء وأصحاب الأموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسد (الا خسارا) فى الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لأنه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاهم وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم أى عبادتها (ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق)

هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف و وزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا أعجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكانها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوّروهم ليكون ذلك أدعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أى الاصنام كقوله انهن أضللن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال و بعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا (مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو وأى ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان « فأدخلوا نارا » عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فادخلوا للايذان بأنهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم و يمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أى أحدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم « يضلوا عبادك » يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفر لى ولوالدى) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى [illegible] أو

سفينتي (مؤمنا) لأنه علم أنه من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أى الكافرين (الاتبارا) هلاكا فاهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله أعلم

﴿ سورة الجن مكية ﴾

﴿ وهى ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل) يا محمد (أوحى الى أنه) ان الامر والشأن أجمعوا على فتح أنه لانه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وان المساجد للعطف على أنه استمع فان مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا التعدى يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدا محكى بعد القول واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبي بكر عطفا على انه استمع أو على محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات « استمع نفر » جماعة من الثلاثة الى العشرة « من الجن » جن نصيبين « فقالوا » لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة

النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر « انا سمعنا قرآنا عجبا » عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب « يهدي الى الرشد » يدعو الى الصواب أو الى التوحيد والايمان « فآمنا به » بالقرآن ولما كان الايمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا « ولن نشرك بربنا أحدا » من خلقه وجاز أن يكون الضمير في به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره « وأنه تعالى جد ربنا » عظمته يقال جد فلان في عيني اذا عظم ومنه قول عمر أو أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا « ما اتخذ صاحبة » زوجة « ولا ولدا » كما يقول كفار الجن والانس « وأنه كان يقول سفيهنا » جاهلنا أو ابليس اذ ليس فوقه سفيه « على الله شططا » كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت أو قولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره « وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا » قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا ان أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم « رهقا » طغيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجن والانس أو فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس

ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب أى كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أى يجد شهابا راصدا له ولأجله أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب و يمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وأنا لا ندرى أشر) عذاب (أريد بمن فى الأرض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الأبرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير اى قطعته (وأنا ظننا) أيقنا (ألن نعجز الله) أى لن نفوته (فى الأرض) حال أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر فى موضع الحال أى ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أى ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الايمان (وأنا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار وأقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى أى الاولى (وأما

القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجنى الكافر يعذب فى النار ويتوقف فى كيفية ثوابهم (وأن) مخففة من الثقيلة يعنى وانه وهى من جملة الموحى أى أوحى الى أن الشأن (لو استقاموا) أى القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ماخولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) بالياء عراقى غير أبى بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد العذاب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ماتصعدنى شئ ماتصعدتنى خطبة النكاح أى ماشق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أى أوحى الى أن المساجد أى البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا أى «فلا تدعوا مع الله أحدا» فى المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان «وأنه لما قام عبد الله» محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره وأوحى الى أنه لما قام عبد الله «يدعوه» يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله أو رسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبى صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جئ به على مايقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا «كادوا» كاد الجن «يكونون عليه لبدا» جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما أدعو ربى) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحدا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل انى لا أملك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا أو أراد بالضر الغى بدليل قراءة أبى غيا ولا رشدا يعنى لا أستطيع أن أضركم وان أنفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد) لن يدفع عنى عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام فمن

ينصرني من الله إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملجأ (إلا بلاغا من الله) استثناء من لا أملك أي لا أملك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل إني لن يجيرني اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه و بيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اى لن أجد من دونه منجى الا أن ابلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني الا ان أبلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره أن لا أبلغ بلاغا أى ان لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (و رسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات أى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وأن أبلغ رسالته التى أرسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هى بمنزلة من فى براءة من الله أى بلاغا كائنا من الله «ومن يعص الله و رسوله» فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وحد فى قوله له و جمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون أى الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قل إن أدرى) ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى) و بفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أمدا) غاية بعيدة يعني انكم تعذبون قطعا ولكن لا أدرى أهو حال أم مؤجل (عالم الغيب) هو خبر مبتدا أى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب

المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه في الخلق (فانه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول «ومن خلفه رصدا» حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحي «ليعلم» الله «أن قد أبلغوا» أي الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم أي ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد ووحد الضمير في من بين يديه للفظ من وجمع في أبلغوا للمعنى «وأحاط» الله «بما لديهم» بما عند الرسل من العلم «وأحصى كل شيء عددا» من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أي وعلم كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى احصاء والله أعلم

﴿ سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية ﴾

(وهي تسع عشرة آية بصري وثمان عشرة شامي)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

«ياأيها المزمل» أي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بادغام التاء في الزاي وكان صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله قم الليل الا قليلا نصفه» بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل «أوانقص منه» من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة «قليلا» الى الثلث «أو زد عليه» على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد

الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما و بين قيام الناقص منه و بين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف ولهذا قلنا اذا أقر أن لفلان عليه ألف درهم الا قليلا انه يلزمه أكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أى مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان أواقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد فى ايجاب الامر به وانه لابد منه للقارئ (إنا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلا على المنافقين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف «إن ناشئة الليل» بالهمز سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين و يقول هذه ناشئة الليل «هى أشد وطأ» وفاقا شامى وأبو عمرو أى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر «وأقوم قيلا» وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات «إن لك فى النهار سبحا طويلا» تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك «واذكر اسم ربك» ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم «وتبتل إليه» انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا ومافيها والتماس ماعند الله «تبتيلا» فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى بتلك الله فتبتل تبتيلا أو جئ به

مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع أى هو رب أو مبتدأ خبره (لا إله إلا هو) بالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كقوله والله لا أحد فى الدار الا زيد «فاتخذه وكيلا» وليا وكفيلا بما وعدك من النصر أو اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله الا هو فاتخذه كافيا لأمورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار (واصبر على ما يقولون) على ما يقولون فى من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر «واهجرهم هجرا جميلا» جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال «وذرنى» أى كلهم الى فأنا كافيهم «والمكذبين» رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى واياهم «أولى النعمة» التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة «ومهلهم» امهالا (قليلا) الى يوم بدر أو الى يوم القيامة (إن لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه الى القلب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الارض والجبال) أى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشىء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (إنا أرسلنا اليكم رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول اذ النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا

غليظا وانما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون إن كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أى كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أى فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا أى السماء على عظمها وأحكامها تنفطر به أى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شىء منفطر وقوله به أى بيوم القيامة يعنى انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشىء بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل فاستعير الأدنى وهو الأقرب للاقل لأن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الأحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) فخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والأمر

للوجوب أو في غيرها والامر للندب (ماتيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض أركانها أي فصلوا ماتيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل « وآخرون يضربون في الارض » يسافرون « يبتغون » حال من ضمير يضربون « من فضل الله » رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء * وقال ابن عمر رضي الله عنهما ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الارض ابتغي من فضل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) كرر الامر بالتيسر لشدة احتياطهم (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) وأجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير في الحسنات (ان الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوقير وهو على

مايشاء قدير والله أعلم

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية ﴾

﴿ وهي خمسون وست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أر شيأ فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت و رجعت الى خديجة وقلت دثريني دثريني فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (ياأيها المدثر) أي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فأدغم (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا أو فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له ياأيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (و ربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما يعروك من غير الله أكبر و روى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى من غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر

الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد مايؤدى اليه (فاهجر) أى اثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا أكثر مما أعطيت فانك مأمور بأجل الاخلاق وأشرف الآداب وهو من من عليه اذا أنعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر فى الناقور) نفخ فى الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أمرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا مادل عليه الجزاء أى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) أى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله

وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد أى أدخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدرا) فى نفسه ما يقول وهيأه (فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول (ثم نظر) فى وجوه الناس أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد فى التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفى مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيا (فقال إن هذا) ماهذا (الاسحر يؤثر) يروى عن السحرة روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام الوليد فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الاسحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل

فارتج النادى فرحاوتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (ان هذا الاقول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ماسقر) تهويل لشأنها (لاتبقى) اى هى لاتبقى لحما (ولا تذر) عظما أولاتبقى شيأ يبقى فيها الا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدا محذوف أى هى لواحة (للبشر) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد أى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا (وما جعلنا أصحاب النار) أى خزنتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فأكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لا يطالب فى الأعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الأكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل دركمالك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا أن غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا

الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون * فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية * قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبوجهل لعنه الله مالرب محمد أعوان الا تسعة عشر نزل (ومايعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الا هو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وماسقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أضاء وجواب القسم

(انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هي جمع الكبرى أي لاحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى أي انها لاحدى الدواهي انذارا كقولك هي احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) أي أطفال المسلمين لانهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (في جنات) أي هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (ما سلككم في سقر) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم لان ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) أي لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع في الباطل أي نقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفي الحديث ان من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو

العظة أى القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) أى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى أى استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة أو الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا أن يشاء الله) الا وقت مشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) فى الحديث هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم

﴿ سورة القيامة مكية ﴾

﴿ وهي أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) أي أقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله في بئر لاحور سرى وما شعر وكقوله

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة * وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الأمر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف أي لأنا أقسم ويقويه أنه في الامام بغير ألف ثم أشبع فظهر من الاشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد في الاغلب وقد يفارقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دليله (أيحسب الانسان) أي الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفي أي بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت (على أن نسوي بنانه) أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا

برق البصر) تحير فزعا و بفتح الراء مد فى شخص (وخسف القمر) أى ذهب ضوؤه أو غاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أى بينهما فى الطلوع من المغرب أو جمعا فى ذهاب الضوء أو يجمعان فيقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أى الفرار من النار أو المؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (ينبأ الانسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (وأخر) ما لم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة أو أنثه لانه أراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه أو هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك و بصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر لانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) ولو أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ماقبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر (لا تحرك به) بالقرآن «لسانك لتعجل به» بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحى مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) أى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) أى قراءته عليك (ثم إن علينا بيانه) اذا أشكل عليك شىء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة)

كانه قيل بل أنتم يابنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ
ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا
تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ
ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل
النظر على الانتظار لأمر ربها أولثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه أى تفكرت
ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار فى دار القرار
(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تظن)
تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا)
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين
أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون
فيها مخلدين (اذا بلغت) أى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لأن الآية تدل عليها
(التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق)
يقف حفص على من وقفية أى قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما
به من الرقية من حد ضرب أوهو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أم ملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق)
ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه
عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه وقيل شدة فراق
الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله
عنهما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ
المساق) هو مصدر ساقه أى مساق العباد الى حيث أمر الله اما الى الجنة أو الى النار
(فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن
نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعنى فلا
زكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمد لان المتبختر يمد
خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو

دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من مني يمنى) بالياء ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) أي صار المني قطعة دم جامد بعد اربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) أي من المني الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم

﴿ سورة الانسان مكية ﴾

(وهي احدى وثلاثون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل أتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيأ مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان أي أتى عليه حين من الدهر غير مذكور (انا خلقنا الانسان) أي ولد آدم وقيل الاول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطن أمه الى أن صار شيأ مذكورا بين الناس (من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماآن

ومشجت ومزجت بمعنى ونطفة أمشاج كبرمة أعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نبتليه) حال أى خلقناه مبتلين أى مريدين ابتلاءه بالامر والنهى له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بأدلة العقل والسمع (إما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء فى هديناه أى ان شكر أو كفر فقد هديناه السبيل فى الحالين أو من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة وبه ليناسب أغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب وغيرهم (وأغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون فى الايمان أو الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كاس) خمر فنفس الخمر تسمى كاسا وقيل الكاس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) أى منها أو الباء زائدة أ وهو محمول على المعنى أى يتلذ بها أو يروى بها وانما قال أولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لأن الكاس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) أى حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة اليه أو على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) مأسورا مملوكا

أوغيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثوابه أوهو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وان لم يقولوا شيأ (لا نريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر (انا نخاف من ربنا) أى انا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة وانا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم بصفة أهله من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا فى الوجود (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت فى على وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشيايا على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا الا الماء فى وقت الافطار (جنة) بستانا فيه مأكل هنىء (وحريرا) ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم فى جزاهم (فيها) فى الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا يرون) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فيها) فى الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر أى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال أشجارها عطف على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم أو معطوفة عليها أى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من

فضـة) أي يدير عليهم خدمهم كؤس الشراب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء
(وأكواب) أي من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له (كانت قواريرا)
كان تامة أي كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من
فضة) أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير
وشفيفها حيث يرى مافيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي الله عنهما
قوارير كل أرض من ترابها وأرض الجنة فضة قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية
أبي بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن
كثير بتنوين الاول والتنوين في الاول لتناسب الآي المتقدمة والمتأخرة وفي
الثاني لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به لان الثاني بدل من الاول
(قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة أي أهل الجنة قدروها على أشكال
مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم أو السقاء جعلوها على قدر ري شاربها فهي
الذلهم وأخف عليهم وعن مجاهد لاتفيض ولا تغيض (ويسقون) أي الابرار
(فيها) في الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا
(فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم
الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أي عذب طيب (ويطوف عليهم
ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما
لأهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم
وانبثاثهم في مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من
المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف أي في الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا
مقدر ليشيع في كل مرئي تقديره واذا اكتسبت الرؤية في الجنة (رأيت نعيما)
كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا يروى ان أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك لا يعقبه هلاك أولهم فيها مايشاون
أو تسلم عليهم الملائكة و يستأذنون في الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على انه

حال من الضمير في يطوف عليهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للطوف عليهم ثياب وبالسكون مدني وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر (و إستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثاني أو عكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفي سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) أضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فاذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير أكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم أولانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لأعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه على مساعدتهم على فعل ما هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما واذا نهي عن

طاعة أحدهما الا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما الا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما الا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى وقيل أو بمعنى ولا أى ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) و بعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أى تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (و يذرون وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) أحكمنا (أسرهم) أى خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى اذا شئنا اهلاكهم أهلكناهم و بدلنا أمثالهم فى الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله (وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو ومحل (الا أن يشاء الله) النصب على الظرف أى وقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لانه شاء ايمان الكل ولله تعالى أن يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو وعدو كافا

﴿ سورة المرسلات مكية ﴾

﴿ وهى خمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أونذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن و بطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أونشرن الشرائع فى الارض أونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أونذرا للمبطلين أوأقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله و يجعله كسفا فألقين ذكرا اماعذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث و يشكرونها واما إنذارا للذين لايشكرون و ينسبون ذلك الى الأنواء و جعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أومفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران أونذرا أبو عمرو وكوفى غير أبى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا أوعلى المفعول له (إن ماتوعدون) إن الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولاوقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت أوذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست

(واذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) أى وقتت كقراءة أبى عمرو وأبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لأى يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لأمره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لأمره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الأولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أى ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أى الماء فى قرار مكين مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (الى قدر معلوم) الحال أى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو مافوقها أو مادونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أوفقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أى تكفت أحياء لايعدون وأمواتا لايحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا

الى ما كنتم به تكذبون) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لاظليل) نعت ظل أى لامظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (انها) أى النار (ترمى بشرر) هو ماتطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كأنه جمالة) كوفى غير أبى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع أصفر أى سود تضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بأن هذه صفتها (هذا يوم لاينطقون) وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لاينطقون أو لاينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلا نطق (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى أى لا يكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء (جمعناكم) يا مكذبى محمد (والأولين) والمكذبين قبلكم فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على بتخليص أنفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) أى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا

ماشئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون أى ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم أواذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) أى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله أعلم

﴿ سورة النبأ مكية ﴾

﴿ وهى أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم) أصله عن ما وقرئ بها ثم أدغمت النون فى الميم فصارت عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) أى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبأ العظيم (الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سيعلمون)

وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثانى أبلغ من الاول وأشد (ألم نجعل الارض) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى أنه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو الرياح لانها تنشىء السحاب وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء حبا كالبر والشعير (ونباتا) وكلا (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع أو لفيف كشريف واشراف أو لا واحد له كاوزاع أو هى جمع الجمع فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل الى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فى الصور) فى القرن (فتأتون أفواجا) حال أى جماعات مختلفة أو أمما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفى أى شقت لنزول الملائكة

(فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج ومالها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) أى هباء تخيل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد أى هى حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أوهى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها (للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث أقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل وان اللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا أريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب أخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم أى لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (الا حميما وغساقا) استثناء منقطع أى لا يذوقون فى جهنم أو فى الاحقاب بردا وروحا ينفس عنهم حر النار أو نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفى غير أبى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله اياهم أو لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال فى معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح بالحساب أو حال أو مصدر

فى موضع احصاء أو أحصينا فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآيات اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا) كرر ما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لذات مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) مملوءة (لايسمعون فيها) فى الجنة حال من ضمير خبر ان (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا أولا يكاذبه (جزاء) مصدر أى جزاءهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر أو بدل من جزاء (حسابا) صفة يعنى كافيا أو على حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفته ولا يملكون خبر أو هما خبران والضمير فى (لايملكون) لاهل السموات والارض وفى (منه خطابا) لله تعالى أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا فلا يملكون لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا للا يتكلمون تقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) حال اى مصطفين (لايتكلمون) اى الخلائق ثم خوفا (الا من اذن له الرحمن) فى الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله فى الدنيا أو لا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب فى أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) فى الآخرة لان ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا (ماقدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا

عـذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدى لان أكثر الاعمال تقع بها وان احتمل أن لا يكون للأيدى مدخـل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الـكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم أو المرعام وخص منـه الـكافر وماقدمت يداه ماعمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الـكافر بعده وماقدم من خـير وما استفهامية منصوبة بقـدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعـنى نظرت اليـه والراجع فى الصـلة محذوف أى ماقدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المـكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الـكافر حاله وقيـل الـكافر ابليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم

﴿ سورة النازعات مكية ﴾

﴿ وهى ست وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمـدبرات أمرا) لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصـل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائـكة فى ذلك اليوم أقسم سبحانه بطوائف الملائـكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا أى اغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الاجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا

أخرجها و بالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أودنياهم كما رسم لهم أو بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة الرادفة النفخة الثانية لانها تردف الاولى و بينهما أربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء و واجفة صفتها (أبصارها) أى أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) أى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الانكار أى أنرد بعد موتنا الى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أى الى حالته الاولى و يقال النقد عند الحافرة أى عند الحالة الاولى وهى الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) أى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت و بعثنا فنحن

اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا في جوفها وقيل الساهرة ارض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس او أرض مكة أو جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به (اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاى حجازى (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما في حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد في مكايدته أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الاعلى) لا رب فوقي وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان أخذ بمعنى

نكل كأنه قيل أنكل الله به نكال الآخرة أي الاحراق (والاولى) أي الاغراق أو نكال كلمتيه الآخرة وهي انا ربكم الاعلى والاولى وهي ماعلمت لكم من إله غيري وبينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (ان في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يامنكري البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدا محذوف الخبر أي أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أي الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام ثم فسر البسط فقال (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاءها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) أثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولأنعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت أي اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعى) مصدرية أي سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فاما) جواب فاذا أي اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هي المأوى) المرجع أي مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أي علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤدي أي زجرها عن اتباع الشهوات

وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) أى المرجع (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى و يثبتها (فيم أنت من ذكراها) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ كقولك ليس فلان من العلم فى شئ أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة و يسأل حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم انكار لسؤالهم عنها أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد ان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال أى يسألونك عن الساعة أيان مرساها و يقولون أين أنت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) أى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية أو ضحاها) أى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سورة عبس مكية ﴾

(وهي اثنتان وأربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عبس) كلح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (ومايدريك) وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى وأدغمت التاء في الزاي وكذا (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الأعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك أي موعظتك أي انك لاتدري ماهو مترقب منه من ترك أو تذكر ولو دريت مافرط ذلك منك (أما من استغنى) أي من كان غنيا بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء في الصاد حجازي (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في أنه لايتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو الكفار أي أذاهم في اتيانك أو الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهى) تتشاغل وأصله تتلهى وروي انه ماعبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروي ان الفقراء في مجلس الثوري كانوا أمراء (كلا) ردع

أي لا تعد الى مثله (انها) ان السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى اياه (في صحف) صفة التذكرة أي انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أي هي في صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله (بأيدي سفرة) كتبة جمع سافر أي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كرام) على الله أو عن المعاصي (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر أو هو أمية أو عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ أي أي شئ حمله على الكفر أو هو تعجب أي ما أشد كفره (من أي شئ خلقه) من أي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر أي ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فأقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الايمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه الى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفي على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعني المطر من السحاب (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم أي الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمي بمصدر قضبه أي قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر أي منفعة (لكم ولأنعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصخ الآذان أي تصمها وجوابه

محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالأخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار «ترهقها قترة» يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه «أولئك» أهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله «الفجرة» في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

﴿ سورة التكوير مكية ﴾

﴿ وهي تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا الشمس كورت) ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحسبونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها

عطلت بالتخفيف عن اليزيدي (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكي و بصري من سجر التنور اذا ملاه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار أو قرنت الارواح بالاجساد أو بكتبها وأعمالها أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قاتلها أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأي ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) فصحت وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيي للمبالغة (واذا الجنة أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها في الدنيا والباقية في الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) أي كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام و زحل وعطارد

والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوؤه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذي نزل به (كريم) عند ربه (ذي قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذي العرش) عند الله (مكين) ذي جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أي في السموات يطيعه من فيها أو عند ذي العرش أو عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما زعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي كما يبخل الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيأ مما علم بظنين مكي وأبو عمرو وعلي أي بمتهم فينقص شيأ مما أوحي اليه أو يزيد فيه من الظنة وهي التهمة (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين أي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وان من شيء الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أي القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعني ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان

كانوا موعظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

﴿ سورة الانفطار مكية ﴾

﴿ وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ماقدمت) ماعملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ماقدمت من الصدقات وماأخرت من الميراث (يا أيها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ماغرك بربك الكريم الذى خلقك) أى شئ خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ أقول غرنى برك بى سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود وجعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وبالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد أى عدل بعض

أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (في أي صورة ماشاء ركبك) ما مزيدة للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أودين الاسلام فلاتصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ماتفعلون) لايخفى عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ماأشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفي نعيم) ان المؤمنين لفي نعيم الجنة (وان الفجار لفي جحيم) وان الكفار لفي النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أي لايخرجون منها كقوله وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) أي لا تستطيع دفعا عنها ولانفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم الرفع مكي وبصري أي هو او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر أو باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والأمر يومئذ لله) أي لاأمر الالله وحده فهو القاضي فيه دون غيره



﴿ سورة المطففين مختلف فيها ﴾

(وهي ست وثلاثون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) مبتدا خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم و يتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك و يجوز أن يتعلق على بيستوفون و يقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أي يستوفون على الناس خاصة وقال القراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال أخذت عليك واذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل واعلم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم اكتفاء و يحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال و يوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون و يحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية تو بيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون مانقصوا في الكيل والوزن ❊ وعن عبد الملك بن مروان ان أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد

العظيم الذى سمعت به فاظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) يبعوثون (لرب العالمين) لأمره وجزائه وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف أعمالهم (لفى سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) ﴿ فان قلت ﴾ قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه * قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (وما يكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) أى أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها اسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمتعدى الأثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم عن ربهم)

عن رؤيته ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية
دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والالا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن
الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن
أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة
ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة
والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها
(ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم
يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى
الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار)
ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه
ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر
الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم الديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته
الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب
الارتفاع الى أعلى الدرجات فى الجنة أو لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن
الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى
شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل
الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك)
الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون
(تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق)
شراب خالص (مختوم ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به
الشراب فى الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليها كراما لأصحابه أو ختامه مسك مقطعه
رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق
أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى
الخيرات والانتهاء عن السيئات (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين

بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب فى الجنة أو لانها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) أى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين (ان الذين أجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلع فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهليهم) أى اذا رجع الكفار الى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (واذا رأوهم)واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الأرائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب الكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ماذكروا الله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سورة الانشقاق مكية ﴾

(وهي خمس وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« اذا السماء انشقت » تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى « واذا الارض مدت » بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها « وألقت ما فيها » ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى « وتخلت » وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه «وأذنت لربها» في القاء ما في بطنها وتخليها «وحقت» وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فلاقيه أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه «ياأيها الانسان» خطاب للجنس «انك كادح الى ربك كدحا» جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء «فلاقيه» الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله «فأما من أوتي كتابه بيمينه» أي كتاب عمله «فسوف يحاسب حسابا يسيرا» سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيآت وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة

من الحور العين «مسرورا» فرحا «وأما من أوتى كتابه وراء ظهره» قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره «فسوف يدعو ثبورا» يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك «ويصلى» عراقى غير على (سعيرا) أى ويدخل جهنم «انه كان» فى الدنيا «فى أهله» معهم «مسرورا» بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه واقعا «انه ظن أن لن يحور» لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حورى أى ارجعى (بلى) إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن «ان ربه كان به» وبأعماله «بصيرا» لايخفى عليه فلابد أن يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وماوسق) جمع وضم والمراد ماجمعه من الظلمة والنجم أو ماعمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) أيها الناس على ارادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول والطبق ماطابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا أى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات أى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت ومابعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام أى طبقا من طباق السماء بعد طبق أى فى المعراج (فالهم لايؤمنون) فالهم فى أن لايؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم

خبرا يظهر أثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم

﴿ سورة البروج مكية ﴾

﴿ وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء ذات البروج) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما فى قوله علمت نفس ما أحضرت كانه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام فى الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم أو أمة محمد سائر الامم أو الحجر الأسود والحجيج أو الايام والليالى وبنو آدم للحديث مامن يوم الا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى ولو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا أو الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) أى لعن كانه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود وهو جمع خد أى شق عظيم فى الارض * روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة

قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والابرص وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فخد أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال يا أماه اصبرى فانك عن الحق فألقى الصبى وأمه فيها (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة «وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا» وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * وقوله * ما نقموا من بنى أمية الا *
* انهم يحلمون ان غضبوا * وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح «بالله العزيز الحميد» ذكر الأوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه «الذى له ملك السموات والارض» فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم

بعذاب عظيم «والله على كل شئ شهيد» وعيد لهم يعنى انه علم مافعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود أو هو عام (إن بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بانه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب «الودود» المحب لاوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة مايفعله الودود من اعطائهم ماأرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه «فعال» خبر مبتدا محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم «بل الذين كفروا» من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لايعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لايفوتونه كما لايفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب

وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم

﴿ سورة الطارق مكية ﴾

(وهى سبع عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضىء كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لانه يطرق الجنى أى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما أن كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية أى ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما

ذكر أن على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على
اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته وم خلق
استفهام أى من أى شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع
والدفق فى الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء
دفقا صببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم
واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب
الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب
من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه
إن الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة «على رجعه» على اعادته خصوصا
«لقادر» لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله إننى لفقير أى لبين الفقر ونصب
«يوم تبلى» أى تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أى يبعثه يوم
تبلى «السرائر» ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال
«فما له» فما للانسان «من قوة» فى نفسه على دفع ما حل به «ولا ناصر»
يعينه ويدفع عنه «والسماء ذات الرجع» أى المطر وسمى به لعوده كل
حين «والارض ذات الصدع» هو ما تتصدع عنه الارض من النبات «انه»
ان القرآن «لقول فصل» فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان «وما
هو بالهزل» باللعب والباطل يعنى انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن
يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو
يتفكه بمزاح «انهم» يعنى مشركى مكة «يكيدون كيدا» يعملون المكايد فى
ابطال أمر الله واطفاء نور الحق «وأكيد كيدا» وأجازيهم جزاء كيدهم
باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء
الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا
الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله
وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل

به «أمهلهم» انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير «رويدا» مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهي من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

﴿ سورة الأعلى مكية ﴾

﴿ وهي تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان وقيل قل سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم (الذي خلق فسوى) أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على أحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذي قدر فهدى) اي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قدر على (والذي أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (أحوى) أسود فأحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ما شاء الله) ان ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء الا ما شاء الله ان ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوي جنيدا عنه فقال فلا تنسى

العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الاماشاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر أوما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انما أنت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الأشقى) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل نزلت فى الوليد ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من المصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وقوفه بين يدى ربه فصلى له عن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأدوم (ان

هـذا لفى الصحف الاولى) هـذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى أى ان معنى هـذا
الكلام وارد فى تلك الصحف أو الى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة
القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها
بهذا النظم و بهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفى الاثر
وفى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه

﴿ سورة الغاشية مكية ﴾

﴿ وهى ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل) بمعنى قد (أتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها
وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه)
أى وجوه الكفار و إنما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما فى المرء أثرا
فى الوجه (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزى
والهوان (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال
وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار
وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى
فى نصب منها فى الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت
ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل
نارا قد أحميت مدا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من
عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث فى هذه الصفات والافعال راجع الى

الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو نبت يقال
له الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم أكله الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية
و بين قوله ولا طعام الا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولا
يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما أماطة الجوع وافادة السمن
في البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل و وجوه لان الكلام
الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها
وطاعتها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان او
المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (فيها لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا
تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم لا يسمع
فيها لاغية مكي وأبو عمرو ولا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة
كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك
ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع
كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذوا بها
بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد
(مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على
موسدة واستند الى الأخرى (و زرابي) و بسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة)
مبسوطة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر
النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل
في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار
وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وطول
النمارق هذا الطول و بسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله
تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل
عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الابل (والى السماء كيف

رفعت) رفعا بعيد المدى بلا إمساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى
حساب الخلق فكذلك الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة
لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة
فهي كلها بساط واحد تنبسط من الأفق الى الأفق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون
المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا
اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص
هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما
يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها الى السماء
والارض والجبال والابل فهى أعز أموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر
الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر
والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها
بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا أو برأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها
بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد
الشاخطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا
وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) هم بالأدلة
ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر)
بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار بمصيطر مدنى وبصرى وعلى وعاصم (الا من
تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع أى لست بمستول عليهم
ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب
الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من انقطع
طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (إن إلينا
إيابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى
الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم
بها جزاء أمثالهم وعلى التأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ

﴿ سورة الفجر مكية ﴾

﴿ وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر أو بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذى الحجة أو العشر الاول من المحرم أو الآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها (والشفع والوتر) شفع كل الأشياء ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها أو شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع أو الخلق والخالق والوتر حمزة وعلى وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعدما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل أريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الأخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الأشيا (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الأشياء بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها أقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الأمم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الأيقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الأولى والارم تسمية لهم

باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان أنهم عاد الأولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فلكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالوادي) بوادي القرى (وفرعون ذي الاوتاد) أي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الذين) في محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا في البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب

بهم على أبلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه)أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى أكرمنى أى فضلنى بما أعطانى فيرى الاكرام فى كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال رب أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ربى أكرمنى مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده ان الله أعطاه ما أعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أى بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث)أى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام

وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربي حجازي وأبو عمرو ويكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصري (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على مافرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أي يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول ياليتني قدمت لحياتي) هذه وهي حياة الآخرة أي ياليتني قدمت الأعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو في آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبي ابن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (ياأيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبي ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند

الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعي الى) موعد (ربك) أو ثواب ربك (راضية) من الله بما أتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبدي ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب الذي صلبه أهل مكة وقيل هي عامة في المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

﴿ سورة البلد مكية ﴾

(وهي عشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا و يستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على

أن الانسان لايخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما التسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ماتريد من القتل والاسر وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (و والد وما ولد) هما آدم و ولده أو كل والد وولده أو ابراهيم و ولده وما بمعنى من أو بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والضمير فى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر مايقوله فى ذلك اليوم وانه (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ماتلبد أى كثر واجتمع يريد كثرة ماانفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ماينفق رياء وافتخارا يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره و يستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيين الى الجنة والنار وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب أو اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو اصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك

ماله لبدا في الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضي الا مكررة وانما لم تكرر في الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كانه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة في مال الكتابة فك رقبة أو أطعم مكي وأبو عمرو وعلى على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة أو اطعام على اقتحامها فك رقبة أو اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان قرابتي وذو ومقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم هم ناصب أي ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أي داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) أي الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عليهم نار مؤصدة) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أي مطبقة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته والله أعلم

﴿ سورة الشمس مكية ﴾

﴿ وهي خمس عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز ألا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي

هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها) أى و بنائها وطحوها أى بسطها وتسويه خلقها فى أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح (قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من وجواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة (أشقاها) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيرا واذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير أى احذروا عقرها (وسقياها) كقوله الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) أى الناقة أسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها

صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿ سورة الليل ﴾

(وهى احدى وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها أو النهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شىء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (إن سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة أعسر شىء عليه وأشد أو سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار (وما يغنى عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك

أو تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل و بيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى أوانهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الأشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة و يتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب قال أبو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) أى وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه و برهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه و يقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

﴿ سورة الضحى مكية ﴾

﴿ وهى احدعشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وما قلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون أن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الأولى) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى قط و واحد من أمتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لأقسم فمن قرأ كذلك لأن المعنى لانا أقسم وهذا لأنها اذا كانت

لام قسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فيتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المرتقب من فضل الله على ماسلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوب بأن مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فآوى) أى فآواك الى عمك أبي طالب وضمك اليه حتى كفلك وربّاك (ووجدك ضالا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشأم حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه الصلاة والسلام من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فأبذل قليلا أو رد جميلا * وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

﴿ سورة ألم نشرح مكية ﴾

﴿ وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أى فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهى ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفرله والوزر الحمل الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والاقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين وفائدة ذلك ماعرف فى طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ماعلم مبهما وكذلك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) أى ان مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان

مع العسر الذى أتم فيه يسرا وجئ بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه الصلاة والسلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع أمير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع أمير غلاما وان مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات (فاذ فرغت فانصب) أى اذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء واختلف أنه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

﴿ سورة والتين مكية ﴾

(وهى ثمان آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والتين والزيتون) أقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو

قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها
تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس
رضي الله عنه هو تينكم هذا و زيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما
(وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون
بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات
الاعراب (وهذا البلد) يعني مكة (الأمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وأمانته
انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة
عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء
فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي
نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه
صلوات الله عليهم أجمعين أو إلاولان قسم بمهبط الوحي على عيسى والثالث على
موسى والرابع على محمد عليه الصلاة والسلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان)
وهو جنس (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية
أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أي ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة
تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني
أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم
رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل
حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن
جلده وكل سمعه و بصره وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته
ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)
ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثاني منقطع أي ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم
ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة

المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أى فاسبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فاسبب تكذيبك بالجزاء أو للرسول صلى الله عليه وسلم أى فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

﴿ سورة العلق مكية ﴾

(وهى تسع عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك كأنه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان معنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان

الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرامه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا أمر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت فى أبى جهل الى آخر السورة (أن رآه) ان رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (أرأيت ان كان على الهدى) أى ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (أو أمر بالتقوى) أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (أرأيت ان كذب وتولى) أرأيت ان كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما تقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى وهذا كقوله ان أكرمتك أتكرمنى وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه

بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازى وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادى روى ان أبا جهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لا تطعه) أى أثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا الحديث والله أعلم

﴿ سورة القدر مكية ﴾

(وقيل مدنية وهى خمس آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) عظم القرآن حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه روى انه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان

ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أوسميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر أن أبي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى الى اخفائها أن يحيي من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى (وما أدراك ما ليلة القدر) أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا أو الى الأرض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة أو الرحمة (فيها باذن ربهم من كل أمر) أى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف (سلام هى) ماهى الا سلامة خبر ومبتدأ أى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أى الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلى وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم

﴿ سورة البينة مختلف فيها ﴾

(وهى ثمان آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رسول من الله) أى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلوا) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من ما جاءتهم البينة) فنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع يهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الأنهار خالدين

فيها أبدا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) أى الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قال الزجاج والله أعلم

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها ﴾

(وهى ثمان آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) أى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض أثقالها) أى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) أى تحدث الخلق (أخبارها) فحذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها أى اليها وأمره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن

مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) أى يرجزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار والاول فى المؤمنين و يروى ان أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أوقفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن طريق

وروى أن جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

﴿ سورة العاديات مختلف فيها ﴾

(وهى احدى عشر آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعاديات ضبحا) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها اذا عدون عن ابن عباس رضى عنهما انه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحا على يضبحن (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صا كات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة أوللعدو والذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فاغرن فأثرن وجواب

القسم (ان الانسان لربه لكنود) لكفور أى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه أو ان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لأجل حب المال لبخيل ممسك أو انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل ما فى الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

﴿ سورة القارعة مكية ﴾

﴿ وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الأول وكان حقه ماهى وانما كرر تفخيا لشأنها (وما أدراك ما القارعة) أى أى شئ أعلمك ماهى ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها

(فهو فى عيشة راضية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فأمه هاوية) فسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة والله أعلم

﴿ سورة التكاثر مكية ﴾

﴿ وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من فى المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف أى لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل أو الاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموها عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن النعم الذى شغلكم

الا التذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ماسوى كن بؤ ويه وأثواب تواريه وكسرة تقويه وقدر وى مرفوعا والله أعلم

﴿ سورة العصر مكية ﴾

﴿ وهي ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعصر) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة ولان التكليف فى ادائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفى خسر) أى جنس الانسان لفى خسران من تجاراتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم

﴿ سورة الهمزة مكية ﴾

﴿ وهي تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) أي الذي يعيب الناس من خلفهم (لمزة) أي من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذي) بدل من كل أو نصب على الذم (جمع مالا) جمع شامي وحمزة وعلي مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعدده) أي جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) أي تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) أي الذي جمع (في الحطمة) في النار التي شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدا محذوف أي هي نار الله (الموقدة) نعتها (التي تطلع على الافئدة) يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد ألما منه بادنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم) أي النار أو الحطمة (مؤصدة) مطبقة (في عمد) بضمتين كوفي غير حفص الباقون في عمد وهما لغتان في جمع عماد كاهاب وأهب وحمار وحمر (ممددة) أي تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق في الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل

عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لايبالى من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم

﴿ سورة الفيل مكية ﴾

﴿ وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب أى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فخرقها فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا ومامات ابرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد

قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذلك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيحميه (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) خوازق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أى الله أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أى الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

﴿ سورة قريش مكية ﴾

(وهى أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط أى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أو بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الاتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف ابى

سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى انه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترأ أحد عليهم وقيل المعنى أعجبوا الايلاف قريش لالاف قريش شامى أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما الامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون و يتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام



﴿ سورة الماعون مختلف فيها ﴾

(وهي سبع آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أرأيت الذي يكذب بالدين) أي هل رأيت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى و يرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن و يمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين أي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها و يصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية لغرض فهم يخفضون و يرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون و يظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض و يمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرائي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان أظهره

قاصداللاقتداءبه كان جيلاوالماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه مايتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

﴿ سورة الكوثر مكية ﴾

(وهي ثلاث آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكوثر وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير (فصل لربك) فاعبد ربك الذي أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان لله في النحر لها (ان شانئك) أي من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك ولك في الآخرة مالا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة قيل نزلت في العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذي لاعقب له وهو خبر ان وهو فصل

﴿ سورة الكافرين ﴾

﴿ وهى ست آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل يا أيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أى لست فى حالى هذه عابدا ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعنى الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح فى الاول من وصح فى الثانى ما بمعنى الذى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى و بفتح الياء نافع وحفص و روى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية أخلص فقرأ قل هو الله أحد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم

﴿ سورة النصر مدنية ﴾

(وهي ثلاث آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروى أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة أو جنس نصر الله المؤمنين فتح بلاد الشرك عليهم (ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على انه بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح أى اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة وروى أن عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

﴿ سورة أبي لهب مكية ﴾

(وهي خمس آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لأنه فيما روي أخذ حجراً ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد اهلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال ياصباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام يابني عبد المطلب يابني فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة اسمه فاسمه عبد العزي أولان مآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته أبي لهب مكي (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي أنه كان يقول ان كان مايقول ابن أخي حقاً فانا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لامحالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من

الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته والتقدير أعنى حمالة الحطب على انها خبر وامرأته أوهى حمالة (فى جيدها حبل من مسد) حال أوخبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أوجلد أوغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله أعلم

﴿ سورة الاخلاص ﴾

أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لأنه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلابد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يامحمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه

فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبره بتدا محذوف
أى هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل
على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد اما أن يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا
أولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون
إلها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضى احتياج المفعول الى فاعل
والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضى ذلك الى
وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود إلهين محال ولأن أحدهما اما أن
يقدر على أن يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه
جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو افرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر
واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون إلها وان قدر
أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها وان قدرا جميعا فاما أن يوجداه بالتعاون
فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان
قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا أوجده أحدهما فاما أن يبقى الثانى
قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثانى فيكون
عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلها * فان قلت الواحد اذا أوجد مقدور
نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا
الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا
وأما الشريك فانفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا
(الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه
فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والاض
وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه
وهو الغنى عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد
دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود
محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة

بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين أو غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله سألوه أن يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية أحكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهي نقائص وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشريك وبأنه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني لا يحتاج الى أحد ويحتاج اليه كل أحد وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفي أن يماثله شيء ومن زعم أن نفي الكفء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا أي خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من أول الامر انه خبر لا فضلة وتأخيره اذا كان لغوا أي فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء واذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين

كقراءة عز يز ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم و يتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه ومالا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال قد وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿ سورة الفلق مختلف فيها ﴾

﴿ وهي خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل أعوذ برب الفلق) أي الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها (من شر ماخلق) أي النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية و يكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي شر خلقه أي من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه و وقوبه دخول ظلامه في كل شيء وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه

وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوّذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات فى العقد) النفثات أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى انكار تحقق السحر وظهور أثره (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل او انما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم

﴿ سورة الناس مختلف فيها ﴾

﴿ وهى ست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل أعوذ برب الناس) أى مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (إله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس إله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكانه مظنة للاظهار دون

الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم
ولان كل الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ
من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم
وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشباب ولفظ الملك
المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الإله المنبئ عن العبادة يدل
عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع بأغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه
على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه
وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة
الصوت الخفى (الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر
كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان
وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر
على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على
الخناس (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى
وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل
تعوذت بالله من شيطان الانس * روى أنه عليه السلام سحر فرض فجاءه
ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن
أعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر
ذى أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا
ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد
فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل
آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط
من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك
ولهذا جوزوا الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان

بالسريانية والعبرانيـة والهندية فانه لايحل اعتقاده ولا اعتمـاد عليـه
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنـا وأقوالنـا
ومن شر ما عملنـا وما لم نعمـل ونشـهد أن لا إله إلا الله
وحـده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه
وصفيه أرسله بالهـدى ودين الحق ليظهره
عـلى الدين كله ولو كره المشركون
وصـلى الله على سـيدنا محمد
وعلى آله مصابيح الانام
وأصحـابه مفاتيح
دار السلام
آمين

يقول مصححه غفر الله له الحمد لله الذى أنزل القرآن تذكرة وتبيـانا للمؤمنين . وصلاة وسلاما على من أرسل رحمـة للعالمين . وعلى آله وأصحابه والتابعين الى يوم الدين ﴿ وبعد ﴾ فقد تم بعون الله الملك المبـين فى زمن الملك المعظم السلطان الافخم المؤيد بالنصر المبين . السلطان محمد الخامس رشاد الدين . وكان انتهاء طبعه سنة ١٣٢٧ هجريه . على صاحبها أفضـل السلام وأتم التحية . وذلك بمطبعة السـعادة بمصر المحمية . لصاحبها المتوكل على الله الجليل . محمد أفندى اسماعيل فى ظل خـديونا المحفوظ برب المثانى الهمام عباس باشا حلمى الثانى حفظه الله آمين

محمد حجازى

﴿ فهرس الجزء الثالث من تفسير النسفي ﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفه




Bibliotheca Alexandrina
0382794